

الإلحاد الحديث

تاريخه وأبرز نظرياته وآثاره وسُبل مواجهته

د. عبدالرحمن بن غالب عواجي

الإلحاد الحديث . . .



Dalailcentre@gmail.com

الرياض - المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ

تصدير:

كثيرةٌ هي العقول التي أفرزتها البشرية لتقود توجهات ملايين الناس لسنوات وسنوات، وسواءً أكانت تلك القيادة في الخير أم الشر إلا أن العاقل يسعى للنظر في أيٍ منها وعرضه على أوليات الفكر القويم والرأي السديد ليرى مدى اتساقها مع العقل والفطرة ومدى خلوها من التناقض في ذاتها من عدمه.

ولذلك... كانت الحاجة الماسة لمثل هذه السلسة من (أطروحات فكرية).

وفي هذا الكتاب يتجول بنا دكتور عبدالرحمن بن غالب عواجي في تاريخ الإلحاد الحديث في العالم الغربي، ويستعرض معنا أهم مدارسه وأفكاره ورموزه وشخصياته، ثم يتتبع أهم تأثيراته على عالمنا الإسلامي، وما هي السبل المقترحة لمواجهته وتحصين شبابنا المسلم إيمانياً منه، كل ذلك في طرح جديد موثق، غزير بالمراجع والموسوعات المتخصصة.

مركز دلائل

***


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

* * *

تمهيد:

بيان خطورة الإلحاد

لقد نشأت النظريات الإلحادية الغربية في مواجهة الكنيسة، وأصبحت دراسة هذه النظريات من صميم دراسات اللاهوت المسيحي الحديث، واصطُلح على تسمية تلك الدراسات بـContemporary theology ويصفونها بـ The Modernوتعني "اللاهوت المعاصر".

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن ميدان النظريات الفلسفية بشكل عام كان يتمحور حول اتجاهات أبرزها: العلم الطبيعي، والمنطق، والأخلاق[1]، ثم تقوقع مفهومها حول الدين[2] والبشر والطبيعة والوجود.

وما يهمنا هنا هي تلك النظريات التي تختص بالدين وأثرها على المجتمع المعاصر.

---

(1) ذكر أمانويل كانط في كتابه "تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق" أنَّ الفلسفة اليونانية كانت تقسم نفسها إلى ثلاثة علوم، هي: "الطبيعة، والأخلاق، والمنطق"، وذكر أنَّ هذا هو المعروف عند الفلاسفة بعد أرسطو، وبخاصة عند الرواقيين. انظر: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ص١٩.

(2) تذكر الموسوعة الفلسفية الألمانية أن توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) هو أول من أدخل فلسفة الدِّين في مباحث الفلسفة نتيجة الحروب الدينية في عصره، انظر:

Hans Gerhard ''Kippenberg Religion, / Religions philosophie'' in Enzyklopidie, Philosophie In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg; Felix Meiner Verlag. 2010) Band) 3,s. 2297- 2306

(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية إلى العربية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، ١٨/ ١٧ ٢٠١٧م. ص٥.

ولئن كانت هذه النظريات الإلحادية المتعلقة بالدين قد بدأت بدايات خجولة، وكان أربابها الأوائل يسعون إلى تبرير مقاصدها قبل عرضها، وطورد أصحابها من قبل السلطات الدينية الغربية؛ فلقد تحول الأمر بعد ذلك، فأصبح المطارَد مطارِدًا، وتحولت تلك النظرات الإلحادية المطأطئة إلى محاجر مارد جبار، وتبدل رذاذها الخجول إلى موج عات، لا يلوي على شيء.

لقد انتشرت تلك النظريات في أصقاع المعمورة، ودُرست مقدماتها ونتائجها في أروقة كثير من الأكاديميات الغربية، وأصبحت الاعتقادات الإلحادية الجديدة لا تقوم إلا بها[1]، ولا ترتكز إلا عليها، ومُرّغت أنوف رجال الدين بالوحل.

لقد أصبح الإلحاد الجديد يقوم على أُسس علمية - في نظرهم - ونظريات معرفية، يُستغنى فيها عن الإيمان، بل عن مشرّع الإيمان، "لقد اختلف ترتيب المعركة الآن، فقد أصبح العلماء مثل: ريتشارد دوكينز، فيكتور سينجر، تانرايدس، إميل زوكر كاندل، بيتر أتكنز، ستيفن واينبرج[2] هم من يتولى كبر الهجوم الواسع على المعتقد الديني وعاطفته"[3].

فكثُر سوادهم - رغم اختلاف أساليبهم وحُججهم - لكنها تكاد تتفق في الثورة على المسلّمات والمعتقدات والأديان، وراح كثير من الملاحدة ينشر الإلحاد بكل ما أوتي من قوة، وألّف كثير منهم جملة من الكتب في نصرة

---

(1) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 20.

(2) هؤلاء جملة من عُتاة الملاحدة الغربيين المعاصرين، تخصصوا في الفلسفة والفيزياء.

(3) The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 31.

الإلحاد والرد على الإيمان، منهم على سبيل المثال الملحد فيكتور شتينجر في كتابه "الله الفرضية الفاشلة"، وكذلك الملحد تولام سيرف في كتابه "دليل الملحد"، وكذلك الملحد ريتشارد دوكينز في كتابه "وهم الإله"، حيث يقول قبل ذكر براهين الإلحاد: "مِن المسلَّمات - والتي يقبل بها الجميع تقريبا - في مجتمعنا الإنساني بأن الإيمان الديني هو فكرة هشة وضعيفة أمام النقد، ويجب إحاطتها بجدار سميك من الاحترام"[1].

وقد ظهرت على أيدي هؤلاء وغيرهم منظمات علمية كثيرة ومراكز أبحاث، بل وأكاديميات مرموقة، تتبنى نظريات الإلحاد، فتحولت الجهود الإلحادية المبعثرة إلى عمل مؤسسي منظم، يقود زمامه جملةٌ من عُتاة الملاحدة؛ ولهذا يصرح ملاحدة العصر الحديث - وبكل وضوح - برغبتهم في تنشئة الصغار على الإلحاد قبل الكبار؛ يقول ريتشارد دوكينز: "نريد من الجميع أن يجفلوا عند سماع كلمات مثل طفل كاثوليكي أو طفل مسلم"[2].

ويقول ديفيد بيرلنسكي عن الملاحدة في هذا العصر: "إن تنظيمهم أخذ في الازدهار من جميع النواحي"[3].

ولذلك يرى بيرلنسكي أنَّ المناسبات التي تُقام تحت شعار الإلحاد في الغرب أصبحت الآن مناسبات يحظَى الملاحدةُ فيها بالاحترام، ولو أعلن أحد الملاحدة البارزين عن غزو جهنم "فإني أحسب أن مبيعات التذاكر..

(1) وهم الإله، ريتشارد دوكينز ص١٣.

(2) انظر:

God's Undertaker: Has Science Buried God? John C.Lennox. p 100.

(3) نفس المرجع، ص٣٠.

ستنشط على الفور"[1].

وبتعزيز هذه المعطيات لبعضها تحول الإلحاد إلى مهاجم بعد أن كان مدافعا، فأصبح له مبشرون يسعون إلى نشره بكل ما أوتوا من قوة في مختلف الميادين.

وامتدت هجمات الإلحاد الشرسة حتى وصلت إلى المسلمين في عُقر ديارهم، وخطفت بعض أبنائهم، فأصبحت النظريات الإلحادية هي النص المعصوم، والملاذ الآمن لكل غيبيّ في نظرهم، وأصبح كثيرٌ منهم يرى أنه "لا يوجد شيء منطقي في علم الأحياء إلا في ضوء التطور"[2].

وأمام ذلك وقف المؤمنون من مختلف الديانات مشدوهين أمام هجمات الإلحاد الشرسة، فمنهم من ناضل، ومنهم من ناظر، ومنهم من أقدم رغبة في دحرها، ومنهم من أحجم رهبة من شرها.

كل هذا، في الوقت الذي لم تكن فيه جهود المتدينين منظمة في الغرب المسيحي، بل حتى في الشرق الإسلامي - إلا القليل-، وهذا ما استشعره بعض المتدينين الغربيين؛ يقول ديفيد بيرلنسكي في كتابه (وهم الشيطان) في سبب رده على الملحد ريتشارد دوكينز في كتابه (وهم الإله): "... والحاجة ماسة إلى الدفاع، لأنه لم يتقدم لذلك أحد، إذ قد تُرك نقاش هذا الأمر لأشخاص يزدرون المعتقد الديني بصبيانية، وقد انهالت كتبهم مؤخرًا من مختلف دور النشر، ورغم تباينهم في الأسلوب إلا أن رسالتهم تظل واحدة:

---

(1) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي ص٣٠.

(2) انظر:

God's Undertaker: Has Science Buried God? John C.Lennox. p 100.

والمقصود به نظرية التطور الداروينية.

بما أن النظريات العلمية صحيحة فلا بد أن المعتقدات الدينية خاطئة"[1].

وبما أن بيرلنسكي حكم على الوضع الغربي في تقاعسه في رد الإلحاد وبيان زَيف نظرياته، فإنه يمكنني أن أعزز قول بيرلنسكي وأؤكد أن الدراسات الشرقية المعاصرة للنظريات الإلحادية لا ترقى إلى المأمول الذي تتطلع إليه أعناق المتدينين.

ولا شك أن منظور صدق النظريات الإلحادية جاء بعد مقدمة بناها الملاحدة لأنفسهم، ألا وهي: تضاد العلم المادي الطبيعي مع العلوم الدينية الميتافيزيقية، ثم توصلوا إلى هذه النتيجة العدمية للدين[2]، وهي أن إثبات النظريات العلمية تعني بالضرورة كذب الميتافيزيقا، أي الغيبيات الدينية، تلك المغيَّبات التي تمثلها الديانات، فجاءت النظريات الإلحادية أولا، كرد فعل عنيف في مقاومة الكنيسة التي تسلطت بأنواع التسلط والاستبداد على رقاب أتباعها باسم الإيمان والدين، ذلك التسلط الذي امتد قرون طويلة معتمدين فيها على النص الذي نَصَّ عليه قانون الإيمان المسيحي في قوله: "ونؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"[3].

ثم سرى هذه الاعتقاد مِنْ قِبَل رجال العلم المادي إلى كل الديانات، بحقٍّ وبغير حقٍّ، فأصبحت كل الديانات متهمة بالكذب والتدليس، ومعارضة

---

(1) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي، ص ٢٠. وانظر:
God's Undertaker: Has Science Buried God? John C.Lennox. pp 100.

(2) العدمية مذهب من يرى أنه لا يوجد شيء على الإطلاق. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٢٨٦.

انظر: علم اللاهوت للقمص مينا ميخائيل، ١/ ٢٧٨ ومجموعة الشرع الكنسي، ص٢٤٦ والجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، ص٦٣.

العلم في نظرهم.

ويمكننا أن نجمع السمات العامة - من وجهة نظري- لفكر النظريات الإلحادية الحديثة في أربعة أمور، وهي كما يلي:

١- إنكار وجود الخالق، فقد صور كثير من الملاحدة أن الإلحاد هو الأصل في فطرة الإنسان، وأنه هو ما يجب أن يكون الإنسان الطبيعي عليه - أعني في حالته الفسيولوجية الطبيعية - وراح كثير منهم يتفاخر بكثرة علماء الفيزياء والأحياء والبيولوجيا الملاحدة في عصور أوروبا المتأخرة؛ ولذلك يرون أن الأصل هو تعدد الآلهة، ويرون أن التوحيد بدوره سيصاب بنفس نكبة إنقاص عدد الآلهة واحدا آخر ليصبح إلحادًا"[1].

٢- أن وسائل المعرفة تنحصر في التجربة، وهذه سمة ملاحدة عصر العلم التجريبي والحسي، وذلك بعد الاكتشافات الحديثة، ثم تطور الأمر إلى اعتقاد أن وسائل المعرفة تنحصر في العلم التجريبي فقط، وهذه سمة القرن العشرين وما بعده، وهو ما صَرَّحَ به ريشنباخ في كتابه "نشأة الفلسفة العلمية" حينما صرح بالاستعاضة عن العقل والحواس بقوانين الفيزياء الجديدة[2].

---

(١) انظر: التاريخ الطبيعي للدين، لديفيد هيوم؛ حيث ادعى في الفصل السادس من كتابه أن التوحيد هو النسخة المطورة من تعدد الآلهة.

(١) نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريشنباخ، ص ١١٦.

٣- أنه لا وجود لغير المادة، وهذه السمة هي الغالبة على ملاحدة عصر التنوير، ثم بدأت في الخفوت قليلا حينما رأوا ضعفها؛ لاضطرارهم إلى التسليم بوجود موجودات غير محسوسة.

٤- أنه يجب تنحية الدين في توجيه السلوك الإنساني، وإحلال العلم أو العقل محله للقيام بذلك، وهذه هي السمة العامة للإلحاد حتى يومنا هذا.

وعلى كل حال فقد انخرط تحت لواء العلم كل عدو للعلم، واستظل بميدان المعرفة كل حانق على المعارف، فنُفيت كثيرٌ من الحقائق الدينية، بل حتى العلمية منها والفيزيائية، كنظرية الانفجار العظيم بحجة أنها تُثبت أن هناك إله للعالم، كما يقول ستيفين هوكينج: "الكثيرون لا تروق لهم فكرة وجود بداية في وقت ما، ربما لأنها تعطي انطباعًا بالتدخل الإلهي"[1].

ومن هؤلاء، السير آرثر إدنجتون الذي كان رد فعله على نظرية الانفجار كالتالي: "فلسفيًا تبدو فكرة وجود بداية للنظام الطبيعي الحالي فكرة بغيضة... ويروق لي العثور على ثغرة حقيقية"[2].

وقد ظهرت أرقام كبيرة في الآونة الأخيرة في تحديد نِسَب الإلحاد في مختلف الدول حول العالم، وأمام هذه الأرقام نرى موقفين، موقفا للمتدينين وموقفا للملاحدة.

فبينما نرى المتدينين يقللون من أعداد الملاحدة بمختلف المبررات،

---

(1) God's Undertaker: Has Science Buried God? John C.Lenox pp. 66-67.

(2) نفس المرجع.

نرى الملاحدة يُكثِّرون سوادهم بمختلف الاتجاهات، وللدكتور زوكير فويل مان بحث منشور في دليل كامبردج للإلحاد يرى فيه صعوبة تحديد كل تلك النسب بسبب اعتبارات متعددة:

منها أن معظم الأفراد لا يستجيبون للدراسات الاستقصائية، ومنها عدم عشوائية العينات، ومنها المناخات السياسية والثقافية المختلفة بين دول العالم، فبعضها يُنص عليه من قبل السلطات، وبعضها يُنظر إليه بنوع من الإدانة والتوجس من العقوبة، حتى في المجتمعات الديمقراطية يرى كثير ممن شملتهم الدراسات ضرورة القول بأنهم متدينون لمعرفتهم أن هذه الإجابة ستكون مقبولة اجتماعيا أو مناسبة ثقافيا أو خوفا من وصمهم بصفة ملاحدة[1].

هذا هو رأي الدكتور زوكير، - وله حظ كبير من وجهة نظري -، ورغم ذلك فقد ظهرت إحصاءات متعددة في إحصاء نسبة الإلحاد أقل ما يُقال عنها هو انتشار الإلحاد في كل مناطق المسكونة، ولنأخذ نماذج بإحصاء أعداد الملاحدة في عام ٢٠٠٤م وفي عام ٢٠٠٩م وفي مطلع عام ٢٠١٨م، ليتبين مدى استفحال آفة الإلحاد لدى المجتمعات، فمثلا في عام ٢٠٠٤م وفقًا لإحصاء نوريس وإنغلبهارت أن ٢٥٪ من الأستراليين ملاحدة، و٢٢٪ من الكنديين و٤٤٪ من الفرنسيين و٧٤٪ من السويديين و٤٩٪ من الدانمركيين و٤٨٪ من البريطانيين وفق إحصاء هيئة الإذاعة البريطانية و٦٥٪ من اليابانيين لا يؤمنون ببوذا وفقا لإحصاء ديميراث، في حين تقل في الشرق

(1) The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 57.

الأوسط إلى ١٪ أو٢٪ في عام ٢٠٠١م وفق إحصاء هيئة الإذاعة البريطانية[1].

أما الدراسة الإحصائية التي قام بها جيرفيس وناجل Gervais & Najle في مطلع عام ٢٠١٨ فتذهب إلى أن نسبة الملحدين في الولايات المتحدة تقدر بـ ٢٦ ٪.

وأما دراسة لاين وآخرين .Lynn, et al الذي قام بها في عام ٢٠٠٩ في ١٣٧ فتذكر مثلا في بلجيكا ٤٣ ٪، وفي هولندا ٤٢ ٪، وفي الدنمارك ٤٨ ٪، وفي فرنسا ٤٤ ٪، وفي المملكة المتحدة ٤١.٥ ٪[2].

وإيرادي لهذه الإحصاءات إنما هو على سبيل المثال، وليس مقصدي الحصر الحقيقي، لأن الغرض من هذه الدراسة هو دراسة محتوى الإلحاد وليس تقصي عدد الملاحدة، لكن من المتفق عليه أنه يتوسع بشكل مطرد في مختلف دول العالم.

خطة البحث:

- تمهيد: بيان خطورة الإلحاد.
- **الفصل الأول: دراسة عن النظريات الإلحادية الغربية.**

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف النظريات الإلحادية.

---

(1) نفس المرجع ص٤٧-٥٥.

(2) انظر:

How many atheists are there?. Social Psychological and Personality Science Gervais, W. & Najle, M. (2018), 9 (1), 3-10.

Average intelligence predicts atheism rates across 137 nations. Intelligence, Lynn, R.; Harvey, J.; & Nyborg, H. (2009) 37(1), 11-15.

○ المبحث الثاني: مراحل ظهور الإلحاد وتطوره في المجتمع الغربي.

○ المبحث الثالث: أسباب نشأة النظريات الإلحادية.

○ المبحث الرابع: طرق وأساليب النظريات الإلحادية.

○ المبحث الخامس: بوادر ظهور النظريات العقلية والتجريبية لفلاسفة الإلحاد النسبي.

○ المبحث السادس: أبرز النظريات الإلحادية في عصر التنوير.

○ المبحث السابع: أبرز نتائج النظريات الإلحادية.

❁ الفصل الثاني: تاريخ نشأة الإلحاد في المجتمع المسلم وأسبابه ومظاهره وسبل مواجهته.

وفيه أربعة مباحث:

○ المبحث الأول: تاريخ نشأة الإلحاد في المجتمع المسلم.

○ المبحث الثاني: بدايات ظهور الإلحاد المعاصر في المجتمعات الإسلامية في العصور المتأخرة.

○ المبحث الثالث: أسباب انتشار النظريات الإلحادية الحديثة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

○ المبحث الرابع: سبل مواجهة الإلحاد.

الفصل الأول:

دراسة عن النظريات الإلحادية الغربية

المبحث الأول

تعريف النظريات الإلحادية

قبل البدء بدراسة تاريخ نشأة النظريات الإلحادية تجدر الإشارة إلى تعريف مفردات مصطلحات البحث، وذلك فيما يلي:

أولا: تعريف "النظريات":

تشتق كلمة "نظرية" من الكلمة اللاتينية 'theoria'، والكلمة الإغريقية 'the¯oria'، وهي تعني "النَّظَر إلى" و"الملاحظة" و"الرؤية" و"التأمل"[1].

وتُستخدم كلمة "نظرية" وبعض مشتقاتها في بعض الأحيان للإشارة لدراسات وكتابات بعض الباحثين والمؤلفين مثل ماركس Marx، أو ويبر Weber، أو دوركايم Durkheim، أو سيمل Simmel، أو بارسونز Parsons، أو هابيرماس Habermas، أو بورديو Bourdieu، حيث توصف هذه "الدراسات" بأنها "تفسيرات"، و"تحليلات"، و"نقد"، و"إعادة البناء التفسيرية".

وتعبر النظرية عن فلسفة أو رؤية للحياة، وهي وجهة نظر عالمية

---

(1) انظر:

The meaning of *'theory'*. *Sociological* Theory, Abend, G. (2008) 26 (2), 173-199.

لشخص أو مجموعة من الأفراد، وتعبر النظرية عن منظورٍ شاملٍ يمكن للفرد من خلاله أن يرى العالم ويفسره"[1].

ويعـرِّفُ علمـاء الاجتمـاع النظريـات بأنهـا: مجموعـة مـن القواعـد أو الفروض أو المفاهيم التي يمكـن تطبيقهـا علـى عـددٍ مـن الظـواهر المتـصلة، ولها القدرة على الوصف والتفسير والاستبصار[2].

ويصنفونها إلى ثلاثة أنواع: النظريـات الوصـفية، والنظريـات التفـسيرية، والنظريات الاجتماعية التقويمية[3].

أما علماء الرياضيات والعلـوم الطبيعيـة فيفسرون النظريـة بأنهـا نـوع مـن خلاصـات البحـوث التـي توصـلت إلـى اعتقـادات وآراء مـن خـلال النتـائج البحثية، ويرون أنَّ ميدان النظريات هو العلوم الطبيعية[4].

ويشير الأكاديميون - بشكل عامٍّ - إلى مفهوم "النظرية" باعتباره يتألف من أربعة مكونات، هي:

١ - تعريف المصطلحات أو المتغيرات.

٢ - وجود مجالٍ ما يتم تطبيق النظرية فيه.

٣- مجموعة من العلاقات بين المتغيرات.

٤ - تنبؤات معينة وادعاءات حول بعض الحقائق[5].

---

(1) نفس المرجع.

(2) انظر: النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، فيليب جونز، ص ١٠.

(3) نفس المرجع.

(4) انظر:

Pulseand Fourier Transform NMR Intraouction Totheary and method, tomas c. Farar and Edwind. Becker, p 12.

(5) انظر:

ثانيا: تعريف الإلحاد:

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجَور، والجدال والمراء، يُقال: لحد في الدين لحدًا، وألحد إلحادًا لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم[1].

أما تعريف "الإلحاد" الاصطلاحي فهو يختلف بحسب اختلاف المراد منه، فمنهم من يعرِّفه بحسب إطلاقات الناس له، ومنهم من يعرِّفه بحسب أصل فكرته ومعناه، وذلك كما يلي:

أ - تعريف الإلحاد من حيث إطلاقات الناس له:

هؤلاء الذين عرَّفوا "الإلحاد" من حيث إطلاقات الناس له وجدوا صعوبة كبيرة في تعريفه، وذلك لـمَّا رأَوا اختلاف إطلاقات الناس على مَن ينطبق عليهم وصف الإلحاد.

ولذلك يرى دليل كامبريدج للإلحاد صعوبة تعريف "الإلحاد"؛ لاختلاف مفاهيم الناس حوله عبر العصور، فيقول: "مِن الصَّعب أنْ نضع تعريفًا للإلحاد، لأن هذا المفهوم تطور عبر العصور مواكبةً لتطور مفهوم الإله"[2].

وهذه النظرة للإلحاد لا شك أنها نظرة نسبية تنبثق من اقتصارها في

A definition of theory: research guidelines for different theory-building research methods in operations management."Journal of operations management, Wacker, J. (1998)" 16.4 (1998): 361-385.

(1) انظر: لسان العرب، مادة "لحد".

(2) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 69.

وصف الإلحاد على فئة معينة، من وجهة نظر معينة[1]، ولذلك وجدوا صعوبة في تتبع إطلاقات الناس له لاختلاف مفاهيمهم، فما يُرى أنه إلحاد عند فئة معينة من الناس أو أصحاب اعتقادٍ معين قد لا يُرَى - بل لا يرى - أنه كذلك لدى فئات أخرى أو أصحاب اعتقادات أخرى.

فمثلا: ما أنكره المسيحيون الأوائل مِنْ حُرْمَة عبادة غير الله أو تقديم القرابين للإمبراطور عُدَّ إلحادًا من قِبَل السلطات الرومانية[2]، ولذلك دافع القديس ترتليان عن وصف المسيحيين بتهمة الإلحاد من قِبَل الرومان عندما رفض المسيحيون عبادة آلهة الرومان معللاً ذلك بأنه لا يمكن الإيمان بآلهة الرومان، لأنهم جنّ[3].

وقد عُدّت الغنوصية[4] أيضا من الملاحدة أو الهراطقة مِن قِبَل الكنيسة

---

(1) وفي المقابل صعب على أصحاب هذا الاتجاه أيضا تعريف "الدين" – كما تقول الموسوعة الفلسفية الألمانية: "يوجد مفهوم الدين في الوقت الحاضر في قلب النقاش. ومع ذلك، فإن الأمر لم يعد يتعلق بالتعريف الصحيح للدين. إن سؤالا آخر قد أصبح أكثر إلحاحًا ألا وهو السؤال عن: تأثير المفهوم العلمي للدين على التاريخ الديني الحديث" انظر:
Enzyklopidie Philosophie In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg ; Felix MeinerVerlag, 2010) Band) 3,s. 2297- 2306,
(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/ ٢٠١٧م. ص٢٠.

(2) انظر:
A Companion to Ancient Philosophy، Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77,
وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ترجمة: القس مرقس داود، الكتاب الرابع، الفصل الثالث، وتاريخ الكنيسة، القس جون لوريمر ٢/ ٣٠.

(3) انظر:
The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin p 21.

(4) كلمة "الغنوزيس" gnosis هي كلمة يونانية، تعني: "المعرفة والحكمة"، أو العلوم الخاصة

المسيحية، وعوملت معاملة الملاحدة والكفرة عندما انتشرت عقائدهم في القرن الثاني، مع أنها لا تنكر وجود الإله بالكلية في أغلبها، بل هي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية اليونانية، وهي تعود إلى ينابيع مصرية وكلدانية وفارسية، وربما حتى هندوسية"[1].

ومن هذا الباب ما أُطلق في العصور المتأخرة من قبل الكنيسة على بعض الفلاسفة نتيجة لآرائهم التي خالفوا بها معتقد الكنيسة، فقد أُطْلِقَ وصفُ الإلحاد على باروخ سبينوزا[2]، مع أنه كان يقول بوجوب الإيمان بوجود الإله، غير أنه كان يقول بوجوب جعل الكون والإله شيئا واحدًا، وهو ما

بالعلوم الروحية والإلهية.

و"الغنوصية" من أشد المذاهب الدينية التوفيقية اضطرابا، فنجد فيها خليطًا من الأسرار الوثنية، والطقوس السحرية، والنظريات الغريبة عن نشأة الكون والتفسيرات الاعتباطية للعهد القديم والعهد الجديد.

وقد كانت تشكل خطرًا كبيرًا على المسيحية في القرون الأولى للميلاد، وبالأخص من وجهة نظر المسيحيين، وذلك لمحاولتها خلط تعاليم المسيحية بالآراء الميتافيزيقية والأفلاطونية الحديثة، بحيث لم يكونوا تيارًا واحدًا، وإنما انقسموا إلى مجموعات مختلفة، وقد دخل إلى الكنيسة المسيحية عند نشأتها جماعة من الغنوسيين الذين حاولوا أن يوفقوا بين فلسفاتهم وعقيدتهم في المادة التي كانوا يعتبرونها شرا أو من صنع إله الشر، وبين لاهوت المسيح. انظر: "المسيا" الذي ظهر على الأرض. الهرطقة في المسيحية، ج، ويللتر، ص ٥٣ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، أ. س. سفن سيس كايا، ص ١٧٢ تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٤٠٠.

(١) الهرطقة في المسيحية، ص٥٢ وتاريخ الفكر المسيحي ١/ ٤٧٤ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٣.

(١) هو أحد أبرز فلاسفة القرن السابع عشر للميلاد، ولد عام ١٦٣٢م، وتوفي عام ١٦٧٧م. يعد أحد الفلاسفة العقليين والنقديين. انظر: مقدمة المترجم، رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سيبينوزا، ص ٩.

يُعرف بفكرة وحدة الوجود[1].

وقد اعتُبِرَتْ آراءُ الفيلسوف نيوتن إلحادية أيضا فيما يتعلق بإنكاره للثالوث وعدم مساواة الابن مع الآب، مع أنه لا ينكر حقيقة وجود الله وأن المسيح ابن الله[2].

بل أغرب ما في الأمر أنَّ بعض لاهوتيي المسيحية المعاصرين يطلقون وصف "الإلحاد" على ديانات أخرى؛ فقد أطلق البعضُ وصفَ "الإلحاد" المطلق على الديانة البوذية والجينية والكونفوشيوسية[3]، مع أنه لديها ذوات أو أرواح معبودة.

وهذا ما ينطبق أيضا على تعريفات بعض علماء المسلمين للإلحاد، فيعرّف بعض علماء المسلمين الإلحاد بأنه: الكفر، أو اعتناق أحد المذاهب الفكرية المادية المعاصرة[4].

فقد أُطلق في الإسلام هذا الوصف على مَنْ أنكر شيئا مِن الصفات[5]، أو

---

(٢) انظر: عصر العقل، ستيوارت هامبشر، ص١١٤ والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه ديكسون، ص ١٦٢ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص١١٦.

(2) انظر: نيوتن، روب أيلف، ص٩٢.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 277.

(4) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام، للشيخ محمد رشيد رضا، ص ٤٣.

(5) هـذا النـوع مـن الإلحـاد وقعـت في بعـضه طوائـف منتـسبة إلـى هـذه الأمـة: كالجهمية والمعتزلة،... وغيرهما، فقد ذكر ابن القيم خمسة أنواع للإلحاد في أسماء الله وصفاته، هي:

- الأول: أن يسمِّي الأصنامَ بها، كتسميتهم "اللات" من الإله، و"العزى" من العزيز.
- الثاني: تسميته -تعالى- بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة

أنكر أمرًا من الأمور المسلَّم بها في اعتقادات المسلمين.

وعلى كل الأحوال، نرى أن هذا المفهوم بهذه الفكرة مشتهر لدى أتباع الديانات، في شأن كل من خالف أمرًا معينًا معلومًا بالضرورة من ذلك الدين، وهو يعتبر من هذه الوجهة قديما في ميزان العصور لدى المتدينين، إذ سبق إلى هذا التعريف الفيلسوف أفلاطون، حيث حاول أن يحصر تعريف إطلاقات "الإلحاد" في ثلاثة أشكال، وذلك فيما يلي:

- الشكل الأول: يتمثل في إنكار الألوهية أو الربوبية.

- الشكل الثاني: يتمثل في إثبات الألوهية مع إنكار العناية الربانية للخلق، والعناية الربانية.

- الشكل الثالث: هو الاعتقاد بأن الآلهة يمكن أن يُستجلَب رضاها ويُستدفع سخطُها، بتقريب القرابين وتضحية الأضاحي"[1].

ويمكننا أن نعتبر هذا التعريف تعريفا نسبيا للإلحاد، لكن لا يمكننا أن نعتمده كفكرة مسلّمة، بل نعدّ تلك النظرة النسبية قاصرة عن بلوغ تعريف "الإلحاد" بوجهه العام -الكالح-.

إذن، فتعريف الإلحاد من حيث إطلاقات الناس له ليس له ضابط يمكن

له موجبًا بذاته أو علةً فاعلة بالطبع،... ونحو ذلك.

- الثالث: وَصْفه – تعالى وتقدَّس -بالنقائص؛ كقول اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

- الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانٍ.

- الخامس: تشبيه صفاته بصفات خَلْقه، انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ١١٠.

(1) انظر: الجمهورية، أفلاطون، ص٥٠.

أن يُضبط عليه، ولهذا تفاوتت وتباينت أقوال الناس فيمن يطلق عليهم وصف الإلحاد، بقي تعريف الإلحاد من حيث أصل فكرته ومعناه وهو فيما يلي:

ب -تعريف "الإلحاد" من حيث أصل فكرته ومعناه:

أما الذين عرفوه من حيث أصل فكرته ومعناه، فهؤلاء تتمحور تعريفاتهم حول وصف فكرة الإلحاد بأنها دائرة في الاستدلال على إنكار القوى الغيبية التي تعرف بالآلهة أو الإله.

وهو ما يُعرف عند الملاحدة بالإلحاد الإيجابي أو الإلحاد القوي، وهذا في مقابل الإلحاد الضعيف الذي هو عدم الإيمان بالله فقط من غير إنكار واستدلال على ذلك.

ومن هنا أرجع بعض الباحثين أصل هذه الكلمة إلى اليونان، حيث ذكروا أنها قد أُخذت من كلمة "لا ثيوس" يعني :لا إله[1].

وقد عُرِفَ الإلحاد القوي أو الإيجابي - وهو موضع دراستنا - منذ القدم، فقد أنكرت طوائف من بني آدم صنع الخالق للمخلوقات، أو نفت وجوده، ويمكننا أن نقسم هذا النوع من أنواع الإلحاد إلى قسمين، كما يلي:

القسم الأول: الإلحاد القديم: وقد ظهر هذا الإلحاد لدى عدة طوائف، من أبرزها:

١ - الدهرية: قال ابن القيم رحمه الله: وهؤلاء قوم عطّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

(1) نفس المرجع ص١.

وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[1][2].

٢- الطبائعيون: وهم الذين ينسبون أفعال الكون إلى فعل الطبيعة نفسها، قال ابن الجوزي: "لَـمَّا رأى إبليس قلَّة موافقيه على جحد الصانع - لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع - حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة"[3].

٣- بعض الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا صانع للعالَم، وأطلق عليهم شيخ الإسلام "دهرية الفلاسفة"[4].

قال ابن القيم بعد حديثه عن فِرَق الفلاسفة: "... وبالجملة فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله"[5].

ومِنْ ضمن مَنْ قَسَّمَ الإلحاد - من حيث أصل فكرته ومعناه - الفيلسوف الأبيقوري فيلوديموس (١١٠-٣٥ ق م) حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام:

١- الذين يقولون أنهم لا يعرفون ما إذا كانت الآلهة موجودة أم لا.

٢- الذين يصرِّحُونَ بأنه لا وجود للآلهة.

٣- الذين يعتقدون ذلك بوضوح[6].

---

(1) سورة الجاثية: آية ٢٤.

(2) إغاثة اللهفان، ٢/ ٢٥٥.

(3) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص ٤١-٤٢.

(4) شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١٢٦.

(5) إغاثة اللهفان، ٢/ ٢٦٨.

(6) انظر:

ويسترعي الانتباه تفريق فيلوديموس بين مَنْ يصرِّح بالإلحاد وبين مَن يعتقده حقيقة، فيرى - فيما يظهر - أن بعض المصرحين به غير مؤمنين به أصلا، ولعل هذه حقيقة.

القسم الثاني: يُعرّف الإلحاد الحديث بأنه: مصطلح عام، يُستعمل لوصف كل تيار فكري وفلسفي يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم[1].

ويعرِّفه بعضُ الباحثين الغربيين بأنه يُطلق على المفكرين والأشخاص الذين أنكروا وجود الآلهة[2].

وقد ظهر هذا المفهوم حين تفشى الإلحاد على شكل نظريات طبيعية ورياضية ونفسية وبيولوجية، ولهذا يفسر المؤمن عند بعض الملاحدة بأنه: هو الذي "يفكر بأنَّ هناك خالقا ذكيا، ويتدخل في أحداث ما خلق"[3].

التعريف المختار في هذه الدراسة:

بما أن دراساتنا هنا تتمحور حول فكرة الإلحاد في شكله الأخير، المتمثل في النظريات، فإننا سوف ننطلق من تعريف القسم الثاني القائل بأنه إنكار وجود الله.

فقد تمحورت أقوال الملاحدة المتأخرين في تعريف الكون والإله والطبيعة، على أن الكون وُجِدَ بلا خالق، وأنَّ المادة أزلية أبدية، وهي الخالق

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 11.

(1) انظر: المعجم الفلسفي، ص٢٠، ووهم الإله، ريتشارد دوكينز ص٣٢.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 12.

(3) وهم الإله، ريتشارد دوكينز ص١٢.

والمخلوق في نفس الوقت، ونظروا إلى الديانات - كما يرى فرويد - على أنها "كلها أوهام لا سبيل إلى إقامة البرهان عليها... وبعض هذه المذاهب بعيدة الاحتمال، وصعبة التصديق للغاية، ومتناقضة أشد التناقض"[1].

وأصبحت القاعدة العامة التي يسير عليها الملاحدة هي أن: ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئًا وتافهًا ومنقوصًا من أساسه، فما تراه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد وما يمكن أن يُقاس بالمقياس والمكيال والمخبار وما إلى ذلك من أدوات هذا هو الحق، وأما ما عدا ذلك مما يخرج عن دائرة العلوم التجريبية[2] ومنهجها فلا نصدقه[3].

فأصبح في عُرْفِهِم السائد أنَّ هناكَ طريقا واحدا فقط للمعرفة، هو الطريق التجريبي، وأن اللاهوت ليس علمًا، والإيمانَ ليس معرفة[4].

ولهذا يقول رائد الاتجاه النقدي الغربي الحديث - وهو الفيلسوف كانط - : "لقد أيقظني هيوم من سُباتي القطعي، إذ نبهني لقيمة التجربة، وضرورة النقد"[5].

(1) مستقبل وهم، سيغموند فرويد، ص٤٣.

(2) أي العلوم المادية التي يمكن تجربتها واختبارها، يعرف أ. س. رابوبرت في كتابه مبادئ الفلسفة المادية بقوله: "تطلق المادية على المذهب القائل بأن الظواهر المتعددة للأشياء ترجع إلى أساس واحد، وهو المادة، ويرى أن المادة أساس كل شيء. انظر: ص٩٧.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 69.

(4) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي ص٨٩، وهذا الكلام يلزم منه أن الرياضيات والقانون والسواد الأعظم من الخطاب الإنساني العادي ليس معرفة.

(5) الفلسفة الغربية، برتران رسل ٣/ ٣١٥.

وفي مقابل إنكارهم لوجود الخالق والكفر بالميتافيزيقا[1] رأى كثيرٌ منهم أنَّ المادةَ هي الخالق حتى للمعاني الذهنية والمشاعر النفسية، كما يظهر هذا من خلال كلام الملحد "جوليان باغيني" حيث يقول: "ما يؤمن به غالبية الملحدون هو أنه على الرغم من أنَّ الكونَ ماديًّا بحتًا فإنَّ العقلَ والجمالَ والعواطفَ والقيم الأخلاقية - باختصار كل ما في سلسلة الظواهر التي تعطي الحياة الإنسانية قيمتها - قد انبثقت منه"[2].

ومما لا شك فيه أن كثيرًا من مجتمعات العالم الغربي والشرقي تعاني اليوم من نزعة إلحادية معاصرة عارمة جرَّاء هذا المفهوم.

---

(1) هو علم ما بعد الطبيعة، أو العلم الذي يتأمل الموجودات اللا محسوسة والماورائية. انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند ٢/ ١٤٠.

(2) وهم الإله، ريتشارد دوكينز ص ١٠.

المبحث الثاني

مراحل ظهور الإلحاد وتطوره في المجتمع الغربي

إذا أمعنا النظر في انفجار النظريات الإلحادية وانتشار ذلك الزخم الهائل لها إبّان عصر النهضة وعصر التنوير ندرك بوضوحٍ أنَّ ذلك الخضمّ هو نتيجة مخاض معاناة طويلة في المجتمع الغربي، أي أنه لم يكن وليد اللحظة، كلا.. بل له تاريخ طويل، ومناحٍ مختلفة، ويمكننا أن نشير إلى أبرز تلك المناحي فيما يلي:

أولا: النظريات الإلحادية في العصر اليوناني:

تقف الدراسات الغربية في الحكم على تفشي الإلحاد في العصر اليوناني على موقفين:

- موقف يرى أن الإلحاد لدى الإغريق لم يكن ذا طابع شعبوي أو ظواهر شعبية متفشية، وإنما كان على شكل أفراد من الفلاسفة وغيرهم، تجرؤوا بوضع نظريات إلحادية تقوم على أفكارهم[1].

---

(1) انظر:

- وموقف آخر يرى وجود النظريات الإلحادية اليونانية ظاهرةً معروفةً لدى بعض فلاسفتهم، وهذا الرأي هو الأقرب إلى الحقيقة من وجهة نظري.

والعارف لطبيعة المجتمع اليوناني يدرك بوضوح أنَّ معظم ذلك المجتمع كان يرى الفلاسفة بعين الإجلال، وكان للفلاسفة تلاميذ وأتباع، كما كان لهم مناوئون وأعداء، ولذلك انتشرت نظرياتهم وحفظها لنا التاريخ، فظهورها على شكل آراء فلسفية لبعض الفلاسفة لا يعني عدم وجود موجة جماهيرية عارمة لها وأتباع ومناصرين.

فقد ظهرت نظريات يونانية فلسفية إلحادية قديمة - كان كثير منها مصدر إلهام لدى بعض أصحاب النظريات الحديثة - كالنظريات التي تقوم على مبدأ تحليل الكون تحليلاً لا يرتبط بقوة عُليا أو إلهٍ مبجَّل، كنظرية ديميكريتوس[1] الذي يرى أنَّ منشأ التدينَ هو الخوف البشري من الظواهر السماوية[2].

وكانت نظريته قائمة على مبدأ الذرة، حيث أرجع كل الموجودات إلى ذرات صغيرة يقوم بعضها على بعض لتتخذ بعد ذلك شكلا معينا، وأن الأشياء تتخلق من تصادم الذرات ثم تكتسب كيفياتها، ولذلك يعتقد أن نشوء الكون وفساده يرجع إلى عامل الذرة لا إلى خالق.

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 11.

(1) فيلسوف يوناني، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، يُعدُّ مؤسسَ نظرية الذرة. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون ص ١٤٦.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 16.

وكذلك نظرية طاليس[1] التي تقوم على اعتماد أن المادة هي أصل العالم، وأن أصلها هو الماء، وأنكر أن يكون ثمة خالق.

وكذلك نظرية أبيقور - صاحب مبدأ اللذة[2] - الذي كان يشير إلى عدم وجود الإله أو بوجوده، لكنه لا يستطيع أن يغير الشرور الواقعة في العالم[3].

ولقد زاد من تأزم الدِّين في العصر اليوناني ظهور الاتجاه السفسطائي[4] في الفلسفة اليونانية، حتى كاد أن يعصف بكل الثوابت الدينية وغير الدينية من مجمل العقلية اليونانية، ولذلك عُدّ بعض أساطين السفسطائية من الملاحدة كالفيلسوف بروتوجوراس[5].

فلقد بنى السفسطائيون نظرياتهم على إنكار أي حقيقة موضوعية ثابتة في هذا الوجود، وتُشكّكوا في إمكان العلم اليقيني بأي موضوع من موضوعاته،

---

(1) فيلسوف يوناني عاش في القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون ص ١٩٩.

(2) فيلسوف يوناني، عاش بين ٣٤٢ - ٢٧٠ قبل الميلاد، مؤسس مذهب اللذة، وشارح نظرية الذرة، انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون ص ١٤ ومشاهير الفلاسفة، ديوجين لايرتيوس، ص١٣٨.

(3) انظر:

C. Joachim Classen, "Aristotle's Picture of the Sophists" in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1981), pp. 7-24,

وانظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، الكتاب الأول، ص١٠٧ وحلم العقل، أنتوني جوتليب، ص٥٢٧.

(4) لفظ "أسطا" يعني" الغلط، وهو مشتق من كلمة "سوفوس" بمعنى: حكيم حاذق، وفي مجملها تحمل معنى الحكمة المموهة، انظر:

A Companion to Ancient Philosophy, Edited by: Mary Louise Gill and pierre pellegrin, pp 77.

(5) انظر: The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin p 12.

لأن هذا العلم لابد أن يكون علما بحقائق ثابتة مستقرة تماما، وليس في هذا الوجود ثبات أو استقرار في نظرهم، ويمكن حصر اتجاه السفسطائية العام فيما يلي:

١. أنه لا وجود إلا للمحسوسات، وهي في تغير وحركة مستمرة، فالوصول إلى أي حقيقة متعذر ومستحيل.

٢. أنه ما دامت الحقيقة الموضوعية الثابتة غير متحققة في هذا الكون، فالحق بالنسبة لكل إنسان هو ما يبدو له، فالحقيقة تتعدد بتعدد الأفراد[1].

إذن، فقد كانت السفسطة عاملا مهما في نشأة الفكر الإلحادي لدى الكثيرين من المتأثرين بها، إذ زرعت مبدأ الشك في كل المسلمات المحسوسة فضلا عن الغيبيات، إلى جانب ظهور بعض النظريات الإلحادية كنظرية ديمكريتوس، ونظرية طاليس، ونظرية أبيقور،.. وغيرهم.

ثانيا: ظهور الفلسفة الغنوصية في العصور الأولى للمسيحية:

قامت بعضُ فرق الغنوصية على الإلحاد المطلق - رغم أن الفلسفة الغنوصية لم تتبنَّ الإلحاد المطلق ابتداء - فبعض فرقها يمكن إدراجه ضمن أنواع الإلحاد النسبيّ، ولذلك نرى أن الفلسفة الغنوصية دائرة بين الإلحاد المطلق والإلحاد النسبي، وبكلتي الحالتين فقد أفسحت مجال التفكير الغربي للعبث في مفاهيم الميتافيزيقا وما يتعلق بها من القواعد الدينية

---

(1) انظر:

A Companion to Ancient Philosophy, Edited by: Mary Louise Gill and pierre pellegrin, pp 77, The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 13.

المسيحية؛ ولأجل ذلك رأيت إدراجه ضمن مراحل تطور الإلحاد.

فمن البذور البارزة الممنهجة - والتي لا يمكن غض الطرف عنها في تاريخ النظريات الإلحادية الغربية الحديثة - تلك الأفكار الغريبة التي جاءت بها "الغنوصية" وغيرها من الفرق التي تُنتسب إلى المسيحية إبان عصورها الأولى، فقد ظهرت فرق غنوصية في المسيحية اخترعت أمورًا جديدة في المسيحية، أعقبت تساؤلات وآثارا، وخيمت على الفكر المسيحي لعدة قرون، وكانت في مجملها تنفي وجود الخالق، أو أنها تنتقص من صفات الخالق، أو تدَّعي الألوهية لبعض البشر من الرجال أو النساء.

فسيمون الساحر (أو سمعان الهرطوقي) - مخترع الغنوصية فيما يرى البعض - يرى أن ثمة قوة وحيدة يقوم عليها العالم، وهي تتجلى في العقل، وينشئ العقل الفكرة كقوة أدنى منه مباشرة، وهو الذي أنجب الملائكة، والقوة التي أنشأت العالم الأرضي، ثم فقد السيطرة على مخلوقاته، وكان يقود معه امرأة تُدعا "ريلينا العاهرة" ويعدُّها التجسيد الحي للفكر الإلهي[1].

وبعض أتباع سيمون هذا قد ألهوه، واعتقدوا بأنه الرب الأعلى، وأنَّ تلك المرأة التي معه قد انبثقت منه وتجسد فيها[2].

ويُرجع بعض المؤرخين رئاسة الغنوصية إلى "باسيليدس" الذي كان يزعم أنه في البدء كان العدم، وكان الله الذي هو عدم العدم، ولكي يخلق الله

---

(1) انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص ١٧٤ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ص٢٩.

(2) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ص٢٩.

العالم خلق في البدء بذرة العالم التي كانت تحتوي على كل شيء(1).

وفي الحقيقة للغنوصية عدة معتقدات متباينة ومختلفة، لعل من أشهرها ما كانت تقوله بعض فِرقهم، حيث تقول في أصل الوجود: أن للوجود أصلين "الأول: هو الله غير المدرك، والثاني هو زوجته السكون المفكر، وباتحادهما معا وُلِدَت الكلمة والحياة، والكلمة هي المسيح، والحياة هي الروح القدس"(2).

ومن أبرز فرقهم "الانتحالية" الذين يعتقدون أن الأب نفسه انتحل هيئة إنسان، أو انتحل عدة هيئات، وتسمى (الموداليسم modalisme) (3)، فعندهم أن الله الواحد الأزليّ هو الذي أوحى إلى موسى وقاد شعبه، وهو هو الذي تجسد في الإنسان يسوع الناصري(4).

ومنها كذلك "المونتانية" أتباع منتانوس (١١٠-١٨٠م) الذي تنبأ بعد ذلك، وتنبأت رفيقتاه، وهما "ماكسيميليا" و"بريسيلا"، ويرى أن موهبة التنبؤ يمكن أن تُوهب لكل مؤمن ومؤمنة(5).

تلك الفرق وغيرها الكثير من الفرق الغنوصية وُصمت بالإلحاد في عصرها، ويمكن عدّها طورًا مهمًّا من أطوار نشأة الإلحاد الغربي.

---

(1) انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص ٢٧٣.

(2) الله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٦.

(3) تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٥٨٢.

(4) نفس المرجع ١/ ٥٩٥.

(5) الهرطقة في المسيحية، ص ٦٧٦٩، وانظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ص ٧٢-٧٣.

ثالثا: ظهور الشذرات الشكية في أواخر العصور الوسطى المسيحية:

يتحتم علينا أن نفرِّقَ بين بدايات وأواسط العصور الوسطى وبين نهاياتها، فقد كانت البدايات لا مكان فيها للإلحاد أو حتى مجرد التفكير، فالناس أمام جلاوزة الكنيسة سواسية، لا فرق بين ملك ومملوك، وقد كانت السمة البارزة لفلسفة القرون الوسطى هي الفلسفة الأرسطية التي عسفوا مفاهيمها لتوافق الديانة المسيحية، يقول توماس هوبز: "إن الفلسفة في جامعات القرون الوسطى لم تكن إلا خادمة للديانة الرومانية"(1).

أما نهايات العصور الوسطى فتعد مرحلة مهمة من مراحل التطور الثوري ضد المسلمات الدينية الغربية، فقد ظهرت آنذاك الشذرات الشكية في الميتافيزيقا في العصور الوسطى للمسيحية، وتخلصوا من الفلسفة الأرسطية الجاثمة على صدورهم - كما يقول جوناثان ري في موسوعته الفلسفية - "... وكان القرن الثاني عشر هو فترة التحرر من النصوص الأرسطية"(2).

مع أننا نرى بعض الباحثين كالمؤرخ الفرنسي لويس فيفري Louis Febvre يرى انعدام الإلحاد في العصور الوسطى، وفسر ذلك كنوع من توقف العقل في تلك العصور(3).

ولا يمكن أن يعدّ رأي فيفري ذا قيمة أمام وجود شذرات الشكية المنتشرة آنذاك، فقد ظهرت المقولة التي اشتُهرت في ذلك العصر بين

---

(1) حلم العقل، أنتوني جوتليب، ص ٤٣٦.

(2) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج أو أرمسون، ص٢٣٦.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 11.

الفلاسفة وهي "إن الوحي صنم أنفه من شمع، وينثني وفقا لمشيئة العالم"!

ومما يعضد الرأي القائل بوجود الشذرات الإلحادية في تلك العصور ظهور ما يسمى بالمذهب الإسمي أو الإسماني في القرن الثالث عشر وما بعده، وكان من أبرز من تزعَّمه وليم الأوكامي وروسلين وجون دونز، فقد خطا هذا المذهب خطوة كبيرة نحو الإلحاد، وذلك حينما أنكر المفاهيم الكلية والمعقولات في الأذهان، وأثبت أن لكل موجود الأسماء فقط، فأنكر قدرة الإنسان على التعقل بالمعنى الفلسفي، وكان له انعكاسات خطيرة على الإيمان والبرهنة عليه أيضا، فالنزعة الإسمانية خطت خطوةً كبيرةً لصالح المادية ضد الميتافيزيقا، ولاحت بوادر الانقسام بين العقل والإيمان[1].

ويمكن حصر مواقف الفلاسفة في أواخر العصور الوسطى بشكل عام فيما يلي:

١. موقف مَنْ يرى أن الوحيَ يُغني عن أي مصدرٍ سواه، لأن الحقَّ محصورٌ فيه.

٢. موقف مَنْ يرى أن العقل وسيلة لفهم الوحي، وأن الوحي هو السلطان المتبع.

٣. موقف مَنْ يرى أن العقل والوحي مصدران للمعرفة، وهؤلاء على قسمين:

أ. فبعضهم يرى أن لكل منهما مجالاً خاصًّا، فللعقل الحقائق العقلية، وللوحي ما فوق الطبيعة.

---

(1) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج أو أرمسون، ص٤٢٠.

ب. وبعضهم يرى أن العقلَ أوثق من النقل، فإن اتفقا فذاك، وإلا فإنَّ المقدَّم هو العقل.

٤. موقف من لا يرى للوحي أي قيمة علمية في مقابل البراهين الفلسفية أو التجربة أو هُمَا معًا[1].

وهذه المواقف تبين مدى التقاطعات الفكرية الدينية بين المجتمع المسيحي في أواخر العصور الوسطى، ويظهر ضمنها بوضوح الموقف الإلحادي ضد المعتقدات الدينية، وأنه كان معروفا في تلك العصور الكالحة.

رابعا: ظهور الإصلاح الديني:

يمكن أن يعد الإصلاح الكنسي رافدا مُهِمًّا من روافد تطور الإلحاد في المجتمع الغربي - من وجهة نظري - مع أنه في ظاهره مسار تصحيح للديانة المسيحية.

نعم، هذا صحيح، فقد كان مسارَ تصحيحٍ في ظاهره، إلا أنه مِن جانبٍ آخر قد أفقد الناسَ مصداقية الكنيسة ورجالها، بل ودينها، وذلك حينما ظهر على يد مارتن لوثر الألماني الذي جابه الكنيسة البابوية، وألغى كثيرا من شعائرها[2].

فقد كانت تلك المجابهة والمواجهة نتيجة ممارسات رجال الكنيسة، الذين وضعوا كثيرا من العقائد في العصور الوسطى من الناحية النظرية،

---

(1) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، للزنيدي، ص ٤٨٥ وأنسنة الوحي، ص ٤٠٠.

(٢) ولد لوثر في العاشر من نوفمبر سنة ١٤٨٣م، وتخرج بإحدى الجامعات، ليصبح راهبًا، ثم ثار ضد الكنيسة البابوية، انظر: أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص.٥.

وحَمَلُوا الناسَ على الإيمان بها، إلا أنهم من الناحية العملية كانوا أشد الناس حرصًا على جمع الثروات، وفَرْض طاعتهم على الناس بحدِّ السيف والسِّنَان[1].

كل ذلك أدى إلى زعزعة الثقة في كهنة الكنيسة ورجالها عند قيام "البروتستانت"، ثم تطور إلى عدم الثقة في تعاليمها وطقوسها - كمسألة الاستحالة[2]، ومسالة صكوك الغفران - في الوقت الذي فقدت فيه البابوية الكثير من هيمنتها ومصداقيتها.

وفي الواقع يظهر أنَّ أوساط بعض المجتمع الغربي عندما نفوا بعض مسلَّماتهم الدينية الجاثمة على رقابهم أكثر من خمسة عشر قرنًا هان عليهم نفي ما بقي منها فيما بعد، وذلك عند ثورة الإلحاد، خصوصا أنه ليس لديهم ميزانًا دينيا موثوقا به في عصر تلك الثورة، فقد كان المصدر الوحيد الموثوق به هو الكنيسة ورهبانها، وهي بدورها قد انهارت، فمَنْ يثقون به بعد انهيارها؟ الجواب: لا أحد، إلا العقل والعلم التجريبي، وفيهما تختلف المدارك وتتفاوت العقول.

خامسا: ظهور الدراسات النقدية في عصر النهضة:

---

(1) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين ايليربي، ص ١٠٩ وأصول التاريخ الأوربي الحديث، ص ٩٨ وتاريخ الكنيسة ٤/ ٣٥ وتاريخ أوربا وبناء أسطورة الغرب، د.جورج قرم، ص١٤٩.

(2) وهي في اعتقادهم أن يحضر المسيح بلحمه ودمه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر. انظر: أسرار الكنيسة السبعة، ص ٥٨ وأنطاكية كنيسة مدينة الله العظمى، أسعد رستم، ص ٣٣.

في البدء أود أن أشير - قبل دراسة الظاهرة النقدية - إلى المنهج الديني السائد في العصور الوسطى للمسيحية في العالم الغربي.

فقد كان المنهج الديني السائد هو القول بأن الكتاب المقدس مصدر موسوم بالعصمة من الزلل والخطأ، لا يعتريه النقص، وأنَّ العهدين - بكُتُبهما المختلفة - "قد أُوحِيَ بهما رأسًا من قِبل الله، وأنها سليمة من التحريف، وأن لها العصمة التامَّة، وأنَّ كُتَّابَ الكتاب المقدس أُناس معصومون، يوجههم روح القدس"[1]، وأن سلطة الكتاب المقدس - كما يقول القديس أوغسطين -: "أكبر مِن جميع قُوَى العقل الإنساني، فحيث يقع التناقض بين الملاحظة العلمية وهذا الكتاب تُهمل الملاحظة العلمية"[2].

لكن ما الذي حدث بعد ذلك؟

لقد حدث تطور ملحوظ في نظرة الفلسفية المسيحية في العالم الغربي إلى ثوابت الدين نتيجة ظهور الدراسات النقدية، وذلك منذ منتصف القرن الرابع عشر.

فقد بدأ الأمر بدراسات نقدية لبعض مفاهيم الكتاب المقدس، وكانت بدايات خجولة، يشوبها الترقب والحذر من بطش الكنيسة وسطوة رجالها[3]، لكنها سَرْعَان ما نَمَت تلك المناهج عن طريق التدرُّج.

فظهرت كثيرٌ من الدراسات النقدية لمفاهيم الكتاب المقدس، بل

---

(1) علم اللاهوت النظامي، ص ٩٤.

(2) تكوين العقل الحديث، جورجراندال ١/ ١٥٧ وبحثك عن الله، د. ريتشارد.أ.بنيت ص ١٤-١٥.

(3) المشكلة الأخلاقية والفلسفة الدينية، أندريه كريسون، ص ١٥٩.

وعقائده، والتي تترست باسم النقد التاريخي للكتب المقدسة.

وقد ألقى هذا المفهوم بظلاله على معظم فلاسفة الغرب، فابتدأت بتقديس العلم إلى جانب الدين فلا الدين يحكم على العلم ولا العلم يحكم على الدين، إنهما متوازيان، ومن أبرز مَنْ مَثَّل هذا الاتجاه ستيفن جاي غولد (Stephen Jay Gould) الذي يرى أنَّ العلمَ والدينَ يمثلان مجالين معرفيين مستقلين، فالعلم شيءٌ رائعٌ والدِّينُ أيضا شيء رائع، إنهما شيئان رائعان جدا، وقد كان "ألبرت أينشتاين" رائد هذا الاتجاه المتوازي، وقد كان يقول: "العلم بلا دِين أعرج، والدين بلا علم أعمى"[1].

ثم تطور الأمر بعد ذلك، فنُفِيَت قطعيات الدين أو ضَعُفَتْ، واقتصروا على الإيمان بيقينيات العلم، خصوصا بعد ثورة المذاهب النقدية الفلسفية؛ يقول "دليل كامبردج للإلحاد": "إن نقد ما بعد الحداثة يؤدي إلى نتائج معادية جدا للمعتقدات الدينية التقليدية"[2].

وأصبح الموقف العام - كما يقول الدكتور كريستوفر باتلر أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة أكسفورد - هو : "التشكك في الادعاءات بوجود أي نوع من التفسير الجامع الشامل"[3].

وكان من أبرز رواد هذا المنهج الفيلسوف إيمانويل كانط الذي يرى أنَّ الذهن يؤلف معارفه وفقًا لصوره أو مقولاته الخاصة، وهي لا تعرف الخطأ

---

(1) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي، ص٢٧.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 268.

(3) ما بعد الحداثة، كريتسوفر باتلر، ص ٢١.

إذا كانت في حدود التجربة، وهذا يقوم على كيف ومِنْ أينَ لنا أن نعلم ما نعلمه؟

وبمعنى آخر فإن فلسفة كانط تقوم على نَقْد العقل، أي اختبار قدرات العقل في نقد المعارف التي توصل إليه من معارف، مستقلا فيها عن التجربة[1].

ومن البارزين في تطور الدراسات النقدية في المجتمع الغربي الفيلسوف الملحد "دينيس ديدروت" الذي كان يعصف بكل المسلّمات، والذي دأب على نشر إلحاده النقدي بكل قوة في فرنسا، وأرجع العالم إلى الطبيعة الميكانيكية ونفى الميتافيزيقا غير المبررة حسب رأي بعض الباحثين[2].

فظهر جراء ذلك فلاسفة تمسكوا بالمنهج النقدي كالفيلسوف "باستور" حيث يقول: "عليكم بعبادة الفكر النقدي.. فالكلمة الفصل هي دائمًا له"[3].

وسَرَت العلمية النقدية لا تفرق بين النصوص المقدسة وغير المقدسة، كلها أمام ميزان النقد سواء، ولهذا يقول الفيلسوف كانط: "إن قرننا هو بشكل خاص، هو قرن النقد الذي ينبغي أن يخضع له كل شيء.. وحده الدين

---

(1) انظر: الفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ٣١٥، ولذلك اعتبر كانط أن الاستدلال على وجود الله وأن النفس خالدة من الأمور التي لا تقبل البرهنة. انظر:

Hans Gerhard ''Kippenberg Religion, Philosophic In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg ; Felix Meiner Verlag, 2010) Band) 3,s. 2297- 2306.

(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/ ١٧/ ٢٠١٧م، ص٨.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 29.

(3) انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٤٥٧.

محتجا بقداسته والتشريع القانوني متذرعا بجلالته يؤيدان أن ينفذا منه.. ولكنها يثيران عندئذ الشكوك والظنون الحقة حولهما"[1].

وعلى كل حال فقد مرّت العملية النقدية بتطورات ملحوظة، فنُقدت المناحي التاريخية والطبيعية النظرية أولا، ثم نقدت شعائر الدين، ثم نقدت الكنيسة مشرعة الدين، ثم نقدت رجالها، ثم نقدت الكتاب المقدس، ثم نقدت الله.

سادسا: انتشار المذهب اللاأدري[2]:

يرى الفيلسوف الأبيقوري "فيلوديموس" وبعض الباحثين المعاصرين أن اللا أدرية تُعَدُّ من أنواع الإلحاد المطلق، واعتمدوا تصنيفهم من أقسام الملحدين[3].

ولي على هذا الرأي بعض التحفظ، ففي رأيي أن اللا أدرية هي حصان طروادة الذي ركبه كثير من الملحدين هربًا من وصمهم بسمة الإلحاد، فشُوّهت سمعتها، وانتسب إليها مَن لا ينتمي إليها.

---

(1) كانط: هو أحد فلاسفة عصر التنوير، عاش بين عامي ١٧٢٤ – ١٨٠٤م، كان من رواد المنهج النقدي، انظر:

Kant, critique de la raison pure, Aubier, paris, 1996, p 65.

وانظر: مشاهير الفلاسفة، ديوجين لايرتيوس، ص١٣٨ والفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، برتراند رسل ٣/ ٣١١.

(2) إفراد المذهب اللا أدري كمرحلة مهمة من مراحل تاريخ الإلحاد يعود – من وجهة نظري – إلى أن هذا المذهب لم يختص بحضارة معينة، مرحلة معينة، بل هو مذهب شائع في معظم الحضارات، وهذا سبب إفراده كمرحلة من المراحل.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 12.

ومما يعضد هذا الرأي ما فعله الملحد "هوكسلي" وشركاؤه حينما اقتبسوا اسم اللا أدرية ليُطلقوه على الإلحاد هروبًا من وصمة عار هذا الاسم.

ومنهم كذلك الفيلسوف الملحد "فرويد" الذي يتجلبب بجلباب اللا أدرية أحيانًا حينما يقول عن العقائد الدينية: "ولا سبيل إلى دحضها كما لا سبيل إلى إثباتها"[1].

ومِن هنا أُطلق على بعض الملاحدة مصطلح اللا أدرية؛ يقول أحد الباحثين الغربيين: "... ومن الآن فصاعدا مِن شأن اللا أدرية أن تنافس الإلحاد كميلٍ فكريٍّ بديلٍ لأولئك غير القادرين على إعلان الاعتقاد في الإيمان"[2].

ويرى أدريان ديزموند أن اللا أدرية "أصبحت هي الإيمان الجديد للغرب"[3].

أما الفيلسوف الفرنسي "لالاند" فيرى أن المذهب اللا أدريّ يقوم على إحدى فكرتين، هما:

١ - يقوم على اعتبار أن كل ميتافيزيقا باطلة أو تافهة.

٢ - أو يقوم على التسليم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة لا يمكن معرفتها بحكم طبيعتها، وتظهر هذه في وضعية أوجست كونت وهربرت سبنسر وغيرهما[4].

---

(1) مستقبل وهم، فرويد، ص ٤٣.

(2) انظر: نفس المرجع، ص ٣٠.

(3) نفس المرجع.

(4) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ١/ ٤٠.

ويظهر بوضوح أن لالاند خلط بين الإلحاد واللا أدرية، فجعل المبدأ الأول للا أدرية إنكار الميتافيزيقا، وهذا لا ينطبق على لب اللا أدرية بل ينطبق على الإلحاد.

ثم جعل المبدأ الثاني هو اليقين بعدم معرفة الأشياء، وهذا هو الموقف الصحيح للا أدرية، حيث نفوا إمكان معرفة حقيقة الأشياء أو البتّ في المسائل الماورائية كوجود الله، ونهاية الكون، وخلود الروح وغيرها، ويرجع تاريخ ظهوره قِدَم الأفكار اللاهوتية، فلم تترجح لدى معتنقيه النظريات الفلسفية، ولم يأخذوا بالنصوص الدينية، بل كان موقفهم بين الموقفين.

وفي رأيي المتواضع أن المذهب اللا أدري لا يعد مذهبا إلحاديا مطلقا رغم التصاق الملاحدة به، لكنه يمكن أن يعد مسمارًا مُهِمًّا ضرب في نعش الدِّين، ومرحلة مهمة من مراحل تطور الشك في الخالق أو الإلحاد به، وذلك لأنها لا تدخل تحت مسمى "الإلحاد القوي" الذي هو إنكار وجود الله، ولا تدخل تحت مسمى "الإلحاد الضعيف" الذي هو عدم الإيمان بالله، فهي تقف حائرة لا تُثبت ولا تنفي.

يقول اللا أدري "ماكغراس": "العلم ببساطة لا يستطيع الحكم في مسألةِ ما إذا كان الله قائمًا مُشرفًا على الطبيعة، لا نؤكده ولا ننفيه، بل نقول ببساطة بأنه ليس لدينا القدرة للتعليق على هذا الموضوع كعلماء"[1].

ولنعايش الواقع المفروض فنقول: لقد تغير موقف اللا أدرية القدماء عن اللا أدرية المحدثين، بعد أن كانت تقف بنفس المسافة بين عدم الإثبات

---

(1) وهم الإله، ريتشارد دوكينز ص٣٠.

وعدم النفي، أما اللا أدرية المحدثة فأقل ما يقال عنها:

إن جُلّ أصحاب نظرية اللا أدرية المحدثين في عصر التنوير وما بعده قد رضعوا من لبان الملاحدة، ولهذا نجد أن كثيرًا من الملاحدة يؤيد موقف اللا أدرية ويدعمه، وشبيه الشيء منجذب إليه، يقول الملحد ريتشارد دوكينز في كتابه (وهم الإله): "ليس هناك من خطإٍ في اللا أدرية في حالة عدم توفر أدلة في صف أحد الطرفين، بل إنها الوضع الحكيم في موقف مماثل"[1]. ومن هنا تبرز اللا أدرية مرحلةً مهمةً من مراحل تطور الإلحاد الحديث.

سابعا: ظهور النظريات الفلسفية الإلحادية الحديثة، وهو ما نحن بصدد دراسته في هذه الدراسة.

---

(1) نفس المرجع ص ٢٦.

المبحث الثالث

أسباب نشأة النظريات الإلحادية

بعد أن اشتدّ عُود تلك النظريات الإلحادية، وتخلت عن خجلها المزيف، دعت إلى الإيمان بآرائها، ففسخت حينها مظهر الحمل الوديع، ولبست لباس المارد الجبار، فأصبحت كالصاعقة الهوجاء التي أرادت أن تدمر كل شيء من أجل كل شيء، ولأجل كل شيء، فلم تعد مقتنعة بالدين، ولا بالسياسة، ولا بالاقتصاد، ولا بالكنيسة، ولا بالقوانين، ولا بالأنظمة، ولا حتى بوجود خالق عظيم بعد ذلك، ولهذا يصرّح أحد أقطاب الفكر الاقتصادي الحديث بأنَّ: (كل حكومة وقانون شر من حيث المبدأ، وذلك إلى المدى الذي يقيِّد أو يشوِّه فيه التطور الطبيعي للاقتصاد والمجتمع)[1].

ويمكن أن ترجع أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة النظريات الإلحادية في الغرب إلى الأسباب التالية:

السبب الأول: طغيان الكنيسة:

يمكن أن يعدّ السبب الرئيس لتلك الثورة على القيم والنظم والدين هو

---

(1) انظر: الفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ٢٠٧.

ما اجترحته الكنيسة ورجالها على العالم المسيحي، فقد كانت الكنيسة قبل ذلك جاثمة بكل قوتها على رقاب أتباعها، مشرعنة وملزمة لأتباعها بضرورة تعلم (المعرفة المقدسة) في كل ما يخص شؤون الحياة، بل حتى بعد الموت، وذلك على مدى قرون طويلة، بشراسة منقطعة النظير، إلى أن جاء عصر النهضة الأوربية فاخترعوا طرائق جديدة في التفكير[1].

لقد جَنت الكنيسة بذلك على نفسها - بل على دينها - جراء هذا العنفوان أمام أتباعها، فبدأ المجتمع المسيحي يفقد قناعاته ويحاول كسب قناعات جديدة، ومن تلك القناعات الجديدة كان "الإلحاد"[2].

ولهذا يرى كثير من الباحثين الغربيين أنَّ النظريات الإلحادية كلها ما هي إلا ردة فعل عنيفة تجاه سطوة الكنيسة.

وجرّاء ذلك رأوا أن النهضة العلمية مناقضة للدين تماما، وأن المذهب العلماني هو البديل، فيعرّفون العلمانية بأنها: (تراجع للسلطة المسيحية ولا سيما بشكلها المماس المتعلق بالطوائف المسيحية)[3].

وقد كان من أوائل المحاربين للكنيسة ورجالها ودينها الفيلسوف "توماس هوبز" الذي يرى وجوب أن تتحول الدولة إلى إله مُفْنٍ حتى تردع الكنيسة كما تقول الموسوعة الفلسفية الألمانية[4].

---

(1) انظر: كارل ماركس، مسألة الدين، سربست نبي، ص ٤٦ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ٥.

(2) انظر: The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 27.

(3) مأزق المسيحية والعلمية في أوربا، القس الدكتور: جوتفرايد كونزلن، ص ٢٢.

(4) Hans Gerhard ''Kippenberg Religion. / Religions philosophie'' inEnzyklopidie Philosophie In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg ; Felix Meiner Verlag, 2010) Band) 3,s. 2297- 2306

أضف إلى ذلك عدم عقلانية كثير من تعاليم الكنيسة التي أجبرت أتباعها على الإيمان بها قسرًا، فقد احتوت الديانة النصرانية المحرَّفة على عقائد تمجها العقول السليمة، فلم تعد نصوصها موثوق بها ولا عقائدها مسلَّم بها.

يقول "فرويد" في معرِض تفنيده لحُجج المؤمنين حيث ذكر أنَّ مِن حُججهم أن نؤمن بما آمن به الأسلاف فيقول: "... لكن هؤلاء الأسلاف كانوا أشد جهلا منا بكثير، وكانوا يؤمنون بأشياء يتعذر اليوم قَبولها، والأدلة التي تركوها لنا ميراث في نصوص يحيط بها الشك وتعجُّ بالتناقضات والتدليسات"[1].

ويتساءل أحد الملاحدة أمام جملة من الاعتقادات الغير العقلانية في المسيحية فيقول: "... هل كان للمسيح أب إنساني؟.. سؤال علمي صارم وإجابة عليه مؤكدة بالمبدأ، نعم أو لا..؟ هل قام المسيح بنفسه بعد ثلاثة أيام بعد صلبه؟... الفكرة بحد ذاتها مضحكة، وتستطيع الرهان على أي شيء بأنه لو ظهرت أي أدلة علمية لتم التشبث بها ووصلت الضجة للسماوات"[2].

ورغم ذلك - كما يقول الملحد ريتشارد دوكينز - فقد أُريقت أنهارٌ من الحبر - إن لم نقل الدم أيضا - في العصور الوسطى على سِرِّ الثالوث

(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/ ٢٠١٧م. ص٥.

(1) مستقبل وهم، فرويد، ص ٣٦.

(2) وهم الإله، ريتشارد دوكينز، ص٣٢.

الأقدس[1]!

السبب الثاني: رغبة المجتمع الغربي في التحرر:

ويُقصد به التحرر من كل القيود المفروضة عليه طيلة قرون طويلة، سواء أكان من الناحية الدينية، أم من الناحية الاجتماعية، أم من الناحية الثقافية، أم حتى من الناحية الفكرية.. المهم هو التحرر..

ومع تنوع النظريات التي نشأت آنذاك إلا أنها كلها تكاد تتفق على أمرٍ معين.. هو الحرية، والسعي إليها، وسبك المقدمات المعقدة التي تنتج الحرية المنشودة في نظرهم.

جون بول سارتر - كمثال - من زعماء المذهب الوجودي يختصر المذهب الوجودي في قوله: "... إنها تضع الإنسان مواجهًا لذاته حُرًّا، يختار لنفسه ما يشاء"[2]، وقِسْ على ذلك جُلَّ المذاهب.

السبب الثالث: نشأة العلوم المادية الحديثة:

ويُقصد بها العلوم المادية كنظريات نيوتن في الفيزياء الكلاسيكية التي تقوم على تفسير الطبيعة تفسير آليًّا ميكانيكيا، وكذلك بعض النظريات القائلة بأن العالم يتكون من مادة وإشعاع، والمادة تتكون من ذرات والإشعاع يتكون من موجات، ومنها كذلك "نظرية دالتون" الذي نشر بحوثه عام ١٨٠٨م، والذي أرجع فيها العالم إلى المادة، والمادة إلى عناصر صُلبة، والعناصر الصلبة إلى ذرات متساوية لا يمكن كسرها.

---

(1) نفس المرجع، ص ٢٠.

(2) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص٩.

أما "نظرية داروين" في أصل الأنواع فهي الملكوت الذي أنقذ الملاحدة من جحيم الدِّين - في نظرهم -، ورأوا أنه هو السبيل الأمثل لتفسير فكرة الكون والطبيعة، بل أرادوا - من خلاله - معرفة الغيب المستقبل؛ كما يقول الفيلسوف لي دانتيك: "ليست غاية العلم الفهم، بل غايته هي التنبؤ"[1].

وأمام هذه الماديات رأوا أن تعليق الدين على خشبة الصليب يجب أن يكون بواسطة فداء النظريات المادية التي ستكون عِوضا عن أي تعاليم ميتافيزيقية.

وقد قَسَّمَ بعضُ الباحثين الغربيين الصراع الدائر بين العلم والدين في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل متداخلة:

- **المرحلة الأولى:** ظهور فكرة "الدين الطبيعي" كمنافس لدين الوحي، وذلك بعد ظهور الفيزياء الحديثة وعلم الكونيات والتقدم العلمي.

- **المرحلة الثانية:** تقويض المفهوم الديني التقليدي للطبيعة كإطارٍ ثابتٍ للكائنات، وذلك بعد التقدم العلمي الهائل الذي أخذ في الصعود منذ بدايات عصر النهضة، وحتى القرن الثامن عشر.

- **المرحلة الثالثة:** تطبيق أساليب العلوم الطبيعية لدراسة الطبيعة البشرية والمجتمع، واعتبارها الطريقة الوحيدة لتوفير معلومات عن الإنسان والطبيعة، والتي بدأت في عصر داروين، واستمرت حتى الآن[2]، أي منذ القرن

---

(1) انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٢٦٩.

(2) انظر:

Darwin and Religion. Proceedings of the American Philosophical Society. Greene, J. (1959) Vol. 103, No. 5 (Oct. 15, 1959), pp 716-725.

التاسع عشر.

لقد رأوا أن العلم الحديث هو أعظم انتصارات الإنسان على الميتافيزيقا، يقول برتراند رسل: "... والتصورات الجديدة التي أدخلها العلم أثَّرَتَ تأثيرًا عميقًا في الفلسفة الحديثة"[1].

وفي رأيي أنها لم تؤثر فحسب؛ بل أنشأت مفاهيم فلسفية جديدة.

يقول الفيلسوف الملحد نيتشه: "لا قرابة ولا صداقة ولا عداوة بين الدين والعلم، إنهما من عالمين مختلفين"[2].

ولهذا يصرح نيتشه - بناء على ذلك - بقوله: "لقد مات الله"![3]

فكثير من الملاحدة ألحدوا لأنهم لم يتأكدوا من صحة وجود الله في معامل التجريب، أو لم يرصدوه تحت المجهر، يقول الربوبي جان جاك روسو: "لقد تحدث الله! يالها من عبارة عظيمة، لكن إلى مَن تحدث؟! لقد تحدث إلى الناس! إذن فلماذا لم أسمع من حديثه شيئا؟!..كان بودي لو سمعته هو بالذات، فذلك ما كان ليكلفه كثيرًا ولكنتُ بمأمن من التضليل! كم من أشخاص بيني وبين الله"![4]

ومن مثل هذا المنطلق نشأ العلم الحديث الذي يقصد به السيطرة على الطبيعة والابتعاد عن فكرة الله.

---

(1) الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ٣/ ٥٨.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص ٢٠٣.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin.p267

(4) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص١ ٤٠.

السبب الرابع: ظنهم أن العلمَ مناقضٌ للدين:

ربما يدخل هذا السبب ضمن الأسباب الفائتة، لكنني رأيتُ إفراده لأهميته من ناحيةٍ ولطرافته من ناحية أخرى، وطرافته تكمن في تناقض فلاسفة الإلحاد، فعندما آمنوا بالعلم رَبًّا لا شريك له نراهم يكفرون به ويكذبونه بغير هوادة إذا أثبت ما يخالف أفكارهم أو أمانيهم.

فقد نفيت كثير من الحقائق العلمية منها والفيزيائية - كنظرية الانفجار العظيم - بحجة أنها تُثبِتُ أَنَّ هناك إله للعالم؛ يقول ستيفين هوكينج: "الكثيرون لا تروق لهم فكرة وجود بداية في وقتٍ ما، ربما لأنها تعطي انطباعا بالتدخل الإلهي"[1].

ومن هؤلاء السير "آرثر إدنجتون" الذي كان رد فعله كالتالي: "فلسفيًّا تبدو فكرة وجود بداية للنظام الطبيعي الحالي فكرة بغيضة... ويروق لي العثور على ثغرة حقيقية"[2].

وقد شاركه هذا البغض آخرون؛ ففي منتصف القرن العشرين - على سبيل المثال - طوّر جولد وبونديو ويلونار ليكار سلسلة من النظريات الثابتة والتي تجادل بأن الكونَ كان موجودًا دائمًا، وأنَّ العالَمَ قديمٌ، وأنَّ المادةَ كانت تخلق بصفة مستمرة للحفاظ على كثافة وحدة الكون المنبسط بالتأكيد، وكان معدَّل الخلق الذي يحتاجون إليه بطيئا للغاية، ذرة واحدة لكل متر مكعب في غضون عشرة مليارات سنة، وهذا يعني مصادفة أنه لم تكن هنا

---

(1) انظر:

God's Undertaker: Has Science Buried God? John C. Lenox pp.66-67.

(2) نفس المرجع.

كإمكانية حقيقة لاختبار النظرية بالملاحظة"[1].

كل هذا لأجل إثبات عدم حدوث الكون وأنه قديم لا محدِث له، لينفوا وجود الله من خلال ذلك.

السبب الخامس: التجارب الشخصية:

وهذا السبب في غاية الأهمية، وإن كان سببا ينطبق على الإلحاد الفردي أكثر من إلحاد أصحاب النظريات المجتمعية، لكنه عامل مهم في تكثير سواد أتباع النظريات الإلحادية.

فلطالما كانت التجارب إحدى الروافد في مساندة ومؤازرة الشك في نفوس بعض الذين لديهم عدم التيقن الكافي من مسلمات المعتقد الذي يعتقده.

فبعضهم من خلال تجاربه الشخصية يرى أن العالم مليء بالتناقضات؛ يقول الفيلسوف دي بوفوار: "إنه أهون عليَّ أن أتصور عالما بدون خالق من أن أتصور خالقا تثقل كاهله جميع تناقضات العالم"

ومن ضمن التجارب الشخصية ما يمر به الإنسان في مراحل نموه من سلطة أسرية في نشأته الأولى، حيث ترتكز في أذهان كثير من الأطفال تلك السلطة الحديدية القاتمة تجاههم من قبل الأبوين، هذا من وجهة نظر بعض الأطفال أو المراهقين، غير أنني لا أنكر أن هناك استغلال للسلطة.. استغلال بشع من قِبَل الأبوين أو مَنْ يقوم مقامهما.

وقد ذكر "دليل كامبردج للإلحاد" أن هناك من الأسباب التي تدعو إلى

---

(١) نفس المرجع.

الإلحاد: إرادة التحرر من السلطة القريبة للشخص كسلطة الأبوين مثلا؛ فتقول: "يشير المحلل النفسي المسيحي ستانلي أ ليفي (١٩٨٨) إلى أن الإلحاد قد يكون تعبيرًا عن الحرية من هيمنة الأبوين".

وأظهرت النتائج المتعلقة بالذين أتوا من البيوت الدينية وبعد ذلك تخلوا عن الدين أن لديهم علاقات أبعد مع آبائهم.

وذكرت كذلك أن من أسبابه أيضا التنشئة العقلية منذ الطفولة، فقد ذكرت نقلا عن ملحقات النظرية (كيركباتريك ٢٠٠٥) أن أسلوب العلاقات الشخصية بين البالغين وطرق التعامل مع المرفقات والعزل وخسارة العلاقات الشخصية الوثيقة، ينبع بشكل مباشر من الأنماط العقلية للمرء نفسه، ويذكر كيركباتريك أنه في دراسة عام ٢٠٠٥م شملت ٤٠٠ بالغ في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

وقد يلحق بهذا السبب أمر مهم - في نظري - وهو أن بعض الملاحدة رأى أن الإلحاد هو بوابة العبور إلى نزواته التي لا يشبعها الإلحاد، فلا خطام لشهوة النفس في ميدان الإلحاد، ولا زمام في كل نواحي الرغبات، حتى إن بعض أكابر رؤوس الإلحاد في هذا العصر مثل ريتشارد دوكينز يرى أن القيود الجنسية على النساء والرجال والمثليين قيود دينية متطرفة[2].

وبفضل هذه الأسباب مجتمعة وغيرها انتفض العالم المسيحي على مفكريه، ونفض أثواب الذل والهوان، وهرب من الدين هروبا لا يلوي معه

---

(1) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin. p 302.

(2) وهم الإله، ريتشارد دوكينز ص١٤٤-١٤٧.

على شيء، واستعاض عن جحيم الدين بلهيب النظريات الإلحادية التي تعددت طرقها وأساليبها.

المبحث الرابع

طرق وأساليب النظريات الإلحادية

لقد انطلق رواد الفكر عندما تحرروا من الكنيسة في كل اتجاه، فكانوا كالعُمي في معمعة الظلام، فتخبطوا في ذلك أشد التخبط، وتفرقوا في مختلف السبل، ويمكن ذكر أهم طرقهم في ذلك فيما يلي:

الطريقة الأولى: الرجوع إلى المذاهب الفلسفية القديمة:

رجع كثير من مثقفي عصر النهضة والتنوير الغربيين إلى عهود اليونان، فاستقوا كثيرا من أفكارهم، واقتبسوها منهم، لتحل محل الدين والكنيسة، مسترشدين بها في إخضاع الدين والدنيا لصالح هذا الإنسان الجديد.

فمنهم من رجع إلى الفلسفة الرواقية[1] التي لا تؤمن إلا بالمادة والماديات، وأرجعوا كل شيء إلى المادة[2].

---

(1) وهي فلسفة نشأت على يد الفيلسوف زينون في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، انظر: مشاهير الفلاسفة، ديوجين لايرتيوس، ص٢١٠.

(2) انظر: خريف الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٨-٢٩.

ومنهم من رجع إلى الإيمان بالطبيعة التي كان يؤمن بها الفيلسوف اليوناني "أنطيفون" حيث كان يُعتبر "القوانين شيء عظيم عند وجود الشهود، ولكن الطبيعة هي العظيمة عند عدم وجود الشهود"(1).

ومنهم مَنْ رجع إلى الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية، وأطلقوا على تلك الآداب: "الإنسانيات"، وهذه ما تُعرف بالنزعة الإنسانية التي تهدف إلى الإعلاء من شان الفكر الإنساني، ورَدّ القيم إلى عقل الإنسان لا إلى الدين(2).

وقد سار بعضهم على نفس طريقة الجدل العقلية كهيجل الذي تبع منهج الجدل الأرسطي والأفلاطوني(3) أو الطريقة السقراطية في التيقن من صحة الأشياء، وهي التي تعتبر العقل المثَلَ الأعلى(4).

وقد أبدى بعضهم مقته للمسيحية من خلال الفكرة التي كونها عن اليونان واستبدلها بفكرة "الديانة الشعبية"(5) مثل جان جاك روسو وغيره.

---

(1) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 16.

(2) انظر: تاريخ الكنيسة ٤/ ٧٠ ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص ٦٣.

(3) انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ١٢٥.

(4) انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ١٩٠ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس ص ١٠٤.

(5) انظر: نفس المرجع ص ١٧، ولهذا يقول هيغل: "العقل الخالص المتجاوز كل حد هو الألوهة بذاتها، فتصميم العالم قد انتظم أساسًا بحسب هذا العقل، وهو الذي يدرب الإنسان على معرفة مصيره والهدف المطلق لحياته" حياة يسوع، هيجل، ص ٤٧.

وكان هيغل يرى أن عصر الثورة الفلسفية الإلحادية الحديثة هو عصر اكتشاف أسرار الديانات السماوية، ولذا يرى أن: "ما نعده اليوم هي حقائق راسخة تعود كليتها للإنسان.. فيما كانت تعد أسرارًا سماوية في سابق عهدها، وقد فصلت الآن على مقياس الاعتراف بجدارة العقل الإنساني وصلاحية غاياته العقلانية وأهدافه على أرض الحاضر". كارل

وكان منهم جملة من الفلاسفة مثل "لبير جاسندي" الذي تأثر بالفلسفة الأبيقورية في النظرية الذرية، فقد حاول أن ينصر أبيقور بكل قوة[1].

ومنهم كذلك فرنسيس بيكون الذي اتخذ من ذلك معيارًا لصحة المفاهيم ومبدأ لكل يقين[2].

ومنهم كذلك "ديكارت" الذي يعترف بأنه استمد بعض أفكاره من أرسطو وأبيقور كما في كتابه "مقال عن المنهج" وكتابه "المبادئ"[3].

ولا ننسى "دالتون" الذي أقنع العلم الحديث بصحة نظرية "ديمكريتوس" في أن العالم يتكون من مادة، والمادة ترجع إلى عناصر صُلبة، والعناصر ترجع إلى ذرات لا يمكن كسرها[4].

ومن منهم كذلك هيجل، ونيتشه، وبرتراند رسل، ورينان، وكومبرز، وبيرنت،.. وغيرهم[5].

ومن أقرب الأمثلة العملية لذلك ما فعله الفيلسوف هيجل عندما ألّف كتابًا رصد فيه تاريخ الفلسفة رصدا زمنيا، وخصص فيه مائة وعشرين فقط

ماركس، مسالة الدين، ص ٤٣.

(1) انظر: حلم العقل، أنتوني جولتيب، ص ٥٢٩.

(2) انظر: كارل ماركس، المسألة الدينية، سربست نبي، ص ٦٠ وحلم العقل، أنتوني جوتليب، ص ٥٣٠.

(3) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ٢٠٩ وتكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ١/ ١٨٥و١٨٧ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص ٢٢٠.

(4) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ص١٠٣.

(5) الفلسفة الإغريقية، محمد جديدي ص ١٩ وبدايات التفلسف الإنساني، الفلسفة ظهرت في الشرق، د/ مهدي فضل الله، ص ٣٧-٣٨.

لفلسفة العصور الوسطى، وأفرد ثمانمائة صفحة للفلسفة القديمة، وأربعمائة صفحة للفلسفة الحديثة[1].

وسبب اهتمامه بالفلسفة اليونانية كان نتيجة تأثره باليونان وعلومهم، بل إن اليونان القديمة هي من أوحت إليه بفكرة الديانة الشعبية[2].

ومنهم كذلك الفيلسوف الألماني "أديموند هوسرل" الذي دعا إلى مثالية بشرية العهد القديم، أي العصر اليوناني.

وكذلك "سيبينوزا" الذي ابتدأ كتابه في اللاهوت والسياسة بقوله: (... وفيها تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطرًا على التقوى أو سلامة الدولة، بل إن في القضاء عليها قضاءً على سلامة الدولة وعلى التقوى ذاتها في آنٍ واحد)[3].

وقد تأثر بهذا الاتجاه كثيرٌ من اللاهوتيين والمثقفين الغربيين حيث يرى كثير منهم أن التلازم بين الدين والفلسفة القديمة هو تلازم أبديّ، لا ينفصم أو ينقسم[4]، ودليلهم على ذلك هو أن المسائل الدينية لا يجوز فيها البحث الحرّ، أي النقد والرد والتفنيد[5]، في حين أَنَّ المسائل الفلسفية يجوز فيها كلُّ

---

(1) انظر: حلم العقل، أنتوني جوتليب، ص ٤٣٧.

(2) انظر: هيجل، حياة يسوع، ص ١٧.

(3) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ص ١٠٧.

(4) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ٢٠٨ وحلم العقل، أنتوني جوتليب، ص٥٣٤.

(5) عصر العقل، فلاسفة القرن السابع عشر، ستيوارت هامبشر،، ص٨ وكارل ماركس، سربست نبي، ص ٤٢.

ذلك[1].

الطريقة الثانية: العقلانية:

وتُعَدُّ هذه الطريقة من الطرق البارزة، حيث نحا جملة من فلاسفة عصر التنوير نحو الاعتقاد بإله جديد ورب أعظم يفوق كل الآلهة السابقة في نظرهم.. ألا وهو العقل.

والعقلانية هي الإقرار بأولية العقل، وبأن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية، لا عن التجارب الحسية[2].

يقول هيجل: "العقل يحكم العالم، وقد سبق له أن حكم ولا يزال يحكم التاريخ كله، ويبقى كل شيء خاضعا للعقل"[3].

لقد أصبحت العقلانية - في نظرهم - هي اتجاه تنويري يثقف الإنسان، ويرفع الوصاية الملقاة عليه لأنه يملك العقل وأيضا الحواس، ويملك

---

(1) ويبدو أن أول وأبرز من رسم الاتجاه الفلسفي في الكنيسة هو الأب توما الاكويني الذي يعد المعلم الملكي في الكنيسة البابوية حيث يقول في كتابه "الخلاصة اللاهوتية": (يظهر أنه لا تمس أي حاجة إلى تعليم غير التعاليم الفلسفية؛ إذ ليس ينبغي للإنسان أن يحاول إدراك ما فوق العقل... والتعاليم الفلسفية متكفلة بجميع ما تحت العقل.. والتعاليم الفلسفية تبحث عن جميع الموجودات حتى الله) الخلاصة اللاهوتية للأب توما الأكويني ١/ ١٠، كما أن القديس أوجستين حاول بكل قوة المزج بين المبادئ المسيحية ومبادئ أفلاطون، حتى تحدث عن الأفلاطونيين بقوله: "لو عادوا إلى الحياة مرة أخرى لأصبحوا مسيحيين" انظر: حلم العقل، أنتوني جوتليب ص٤٧٠.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 57,

ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص٢٩١.

(3) نفس المرجع.

الوسائل التي تمكنه من إدراك الحقيقة واكتساب المعرفة ولا حاجة إلى سلطة تُفرَض عليه لكي تدله على الحقيقة.

يقول الفيلسوف الفرنسي الملحد ديدروت: "إذا كان العقل هبة من السماء، وكانت العقيدة كذلك، فالسماء قد وهبتنا هبتين متناقضتين متنافرتين"[1]

ويقول سيبينوزا: "ليس العقل خادمًا للاهوت، ولا اللاهوت خادما للعقل، بل لكل منهما مملكته الخاصة"[2].

ومن هؤلاء مَنْ رَأى عدم إقصاء "الدين" بالكلية، ولكن بشرط أن تخضع الأسس الدينية لنتائج العقل، ونتائج النقد التاريخي، وأن يواكب الدين الحقائق العقلية[3].

ومن الغريب أنَّ بعضَ أولئك نازعتهم الفطرة في مبدأ التأليه، فأثبتوا وجود إلهٍ أسمَى لكنه لا يخرج عن كونه أكبر العقول، ويصرحون بأنه يمكنهم القول بأنَّ: "الله من جهة أنه عقل هو مصدر جميع الموجودات.. والعقول وحدها قد خلقت على صورته، بل كادت أن تكون من سلالته، أو قل أنها أولاد البيت الواحد"[4].

ولهذا يصرحون بأن الله هو الحاكم الأكبر لجمهورية مكونة من جميع

---

(1) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٣٠٤.

(2) نفس المرجع.

(3) انظر: تكوين العقل الحديث، جورج راندال، ٢/ ٢٣٤.

(4) مقالة في الميتافيزيقيا، لايبنتز، ص ٢٠٢.

العقول، وأن سعادة هذه المدينة هي مطلبه الأساسي[1]، فأصبح العقل - في منظورهم - هو الذي يسوق الناس إلى فهم الطبيعة، وبفهمه للطبيعة يصوغ سلوكه طبقًا لها.

لكن في الحقيقة يمكنني القول: إن مما يزهد في الإيمان بهذا الإله الجديد المسمى بالعقل هو اكتشاف أنَّ مِنْ أكبر معائبه أنه لا يمنع أن تتقاذفه الاتجاهات في كل مكان، فهو يُملي لكل إنسان ما يشاء، لا يعترض على نظرية إلحادية، أو فكرة فلسفية، أو خُرافة أسطورية، ما دامت تعقل في عقل صاحبها، يتموَّج حسب ما يريده المموج.

ذلك الإله الذي يريد أن يرضي كل صاحب فكرة إلحادية أو نظرية فلسفية، وهو في الوقت الذي يرضي بعض أصحاب النظريات الإلحادية يُسخط أصحاب نظريات إلحادية أخرى، مع أنهم كلهم في الغَيِّ سواء.

لقد رأوا أن العقل هو الإله الذي يُرضي طموح كل ثائر على الدين والمجتمع والقيم والأخلاق والمبادئ والسلوك، فكل واحد يرى أن عقله هو الإله الجبار الذي لا يقهر، والواحد الأحد الذي لا يهزم، مع تفاوت العقول فيما بينهم!

وهذا التفاوت في العقول هو الذي شكك بعض الملاحدة في الثقة في هذا الإله الجديد، ونتيجة لذلك اخترعوا إلها آخر، رأوا أنه هو الإله المعظم، والحق المكرم، يفوق العقل مقدرة ويوثق به، ألا وهو "التجربة"، فجنحوا إلى التجريب والمادة، فلم يؤمنوا إلا بالمحسوس، ولم يسلموا إلا

---

(1) نفس المرجع والصفحة.

بالتجربة[1].

الطريقة الثالثة: اعتماد العلم التجريبي:

وتعد هذه الطريقة من الطرق البارزة من أساليب سلوك النظريات الإلحادية، فقد اعتمد العلم التجريبي كحقيقة مسلَّمة، ونتيجة لذلك فقد أصبحت المقدسات الفلسفية بالأمس ممقوتة لدى بعض فلاسفة عصر التنوير، وبالأخص في منتصف القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، فتغيرت مفاهيم كثير من المفكرين الغربيين جراء ذلك في نظرتهم للفلسفة.

فقد كان المنهج الفلسفي الأرسطي هو مالئ الدنيا وشاغل الغرب في العصور الوسطى، وكان يقوم على الجدل الإقصائي القائم على القياس، ويستنتج من الحقائق المعروفة أكثر من البحث عن حقائق جديدة.

لكنه تعرَّض لانهيار عنيف أمام الفكر التنويري الغربي، فأصبح كثير منهم يرى أن التقدم العلمي قائمٌ على نظريات جديدة لم يُعهد بمثلها، بل يرون أنه تخلى عن كل فلسفات العصور الماضية كما يقول -ستيوارت هامبشر - "إنَّ عصور النهضة لم تعد تحفل بفلسفة اليونان"[2]، فمع ظهور العلوم الطبيعية استمر أفول التصورات القروسطية[3] ويطلقون عليها مسمى "medievalism" نسبة للقرون الوسطى.

---

(1) انظر للاستزادة: نشأة التحررية الأوربية، هارولد لاسكي، ص ٨٣.

(2) انظر: نيوتن: روب أيلف، ص٣٥.

(3) عصر العقل، ستيوارت هامبشر، ص٧ وانظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ١/ ٣٣٢ وفلسفة الحضارة، ألبرت شيفتز، ص ١٨٠.

الطريقة الرابعة: تحوير علم الاجتماع:

إلى جانب تقديس الفلسفة والعقل والتجربة، ظهرت رابعة الأثافي؛ وهي تحوير علم الاجتماع الذي يبحث في النظام الاجتماعي للسلوك الإنساني[1]، إلى جانب التوسع في دراسات الأديان المختلفة، وظهور الفلسفات الحديثة[2].

فنتج هذا عن مخاض تضارب الآراء والصراع الكبير بين تيارات فلسفية كبرى إلى جانب انهيار النظام الاجتماعي القديم، وصعود أنظمة اقتصادية جديدة[3].

فظهر ما يسمى بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، مع أنه لم يكن هناك أسلوب واحد للتعبير عن هذه الحركة لدى مفكريها لكنَّ اهتماماتهم تتمحور حول الإنسان[4].

ويرى كثير من العلماء الغربيين أنَّ هذه العلوم الاجتماعية كانت نتاجا طبيعيا ساهم في إفرازه عصرُ النهضة، واختمر في عصر التنوير؛ يقول القس الألماني الدكتور جنفرايد كونزلن: "... ومما يسترعي النظر - بالنسبة لنظرية العلمنة المتصلة بعلم الاجتماع - أنها كثيرًا ما ترتبط بأفكار أساسية تنبع من التنوير الأوربي، لأن علم الاجتماع الغربي نفسه هو في جزء منه أحد

---

(1) انظر: دراسة التاريخ، وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، هيوغ اتكن، ص ٣٤.

(2) انظر: تكوين العقل الحديث، جون راندال، ٢/ ٢٢٠ و٢٤٠.

(3) انظر: دراسة التاريخ، وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، هيوغ اتكن، ص ٣٥.

(4) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ١/ ١٨٥-١٨٧.

موروثات عصر التنوير"[1].

ومن أبرز مناحي أصحاب هذا الاتجاه أنهم يرون أن الدين برمته نتاج اتفاق إنساني في شتى المجتمعات، ولهذا يصرح أبرز علماء الاجتماع الغربيين أن الدين هو عبارة عن مجموعة من الرموز التي تستدعي الاحترام، وتُوحِي بالرهبة، وهو أمرٌ تنظيميٌّ من اختراع البشر، شأنه شأن سائر التنظيمات الاجتماعية[2]. وقد برزت بشكل واضح في فلسفة جان جاك روسو كما سيأتي.

الطريقة الخامسة: الربوبية:

ذهب جملة من فلاسفة عصر التنوير إلى اختراع طريقة جديدة من الطرق التي رأوا من خلالها النجاة من دين الكنيسة وطُغيان رجالها، حيث يرى هؤلاء ضرورة الإيمان بإله، لكن مع إنكار الوحي، ويرون أنَّ عملَ الإله - في نظرهم - هو أنه خلق هذا العالم، ثم تركه يدور وفق القوانين المودعة فيه، فهو يشبه صانع الساعة التي يديرها ثم يدعها تتحرك من تلقاء نفسها، وأما الإنسان فقد منحه العقل ثم تركه وشأنه[3].

ولهذا فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أنه يجب أن يتغير الدين في كل عصر حتى يوافق المجتمع، وهذا التغير يجب أن يتم مرة تلو أخرى ما دامت

---

(1) مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا، القس الدكتور جوتفرايد كونزلن، ص ٢٣.

(2) انظر: علم الاجتماع، أنطوني غدنز، ص ٥٦٩ فما بعدها.

(3) انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ٣١٧ والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ١٣٨.

معرفة الإنسان تنمو وحياته الاجتماعية تتغير"[1].

وهذا المذهب - في نظر الملاحدة - قريب جدًّا من مذهبهم - من وجهة نظرهم - ويرجح بعضهم أن الحياة لو طالت بالربوبيين فسيعتنقون مذهب الإلحاد، كما يقول الفيلسوف دي بونالد: "إن من يعتنق مذهب التأليه الطبيعي هو مَنْ لم تسمح له حياته القصيرة بأن يعتنق مذهب الإلحاد"![2]

بل قد عدَّ بعضُ الباحثين الغربيين المذهب أحد أنواع الإلحاد الصريح[3]، ومن وجهة نظري أن عده ضمن مذاهب الإلحاد المطلق فيه إجحاف، لكن الملاحدة دأبوا على استجلاب كل مذهب فكري إليهم لتكثير سوادهم، ومع ذلك يمكن أن يعد المذهب الربوبي أسلوبا من الأساليب التي سلكها فلاسفة أوروبا للهروب من جحيم الميتافيزيقا.

الطريقة السادسة: الإيمان بالمذهب الطبيعي:

لما سقطت فلسفات العصور القديمة ولم تَعُدْ قادرة على مواكبة التطور الهائل والسريع في الفكر الأوربي جَنَحَ بعضُ فلاسفة عصر التنوير إلى اختراع إله جديد يحل محل الآلهة السابقة، وهو الإيمان بالطبيعة[4]، تلك الطبيعة

---

(1) تكوين العقل الحديث، جون راندال،٢/ ٢١٧.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص٥٢.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 36.

(4) وهؤلاء ليس المقصود بهم أولئك الذين يطلق عليهم "الطبيعيون" الذين يدللون على وجود إله في الطبيعة بدليل الطبيعة، وأنه لا حاجة للوحي والكتب المقدسة، وهو ما يسمى بالدين الطبيعي. انظر:

Russel, B. Ahistory of Western philosophy, BK.3, p12 - 511.

الحافلة بالحقائق - في نظرهم -[1] فصار لزامًا على الذين نبذوا الإيمان بوجود الله أن يبحثوا عن بديلٍ لذلك، ووجدوه في الطبيعة[2].

وقد كانت الطبيعة عند قدماء الفلاسفة تعني ما يتضمنه الكَوْن من أفلاكٍ وظواهر متنوعة كما يقول أرسطو: "تطلق كلمة "الطبيعة" على جوهر الأشياء الطبيعية"[3].

لكنَّ مفهومَ "الطبيعة" تغير بعد ذلك، فأصبح الإيمان بالطبيعة يقوم على الاعتقاد بأنَّ النظامَ الطبيعيَّ هو كمتحف الله للأشياء والمخلوقات التي انقسمت أبديًّا إلى أنواعها، وأصبح الإله - في نظرهم - هو المادة بطريق التطور، ولهذا يرون أنه يجب تعليل جميع التغيرات على أنها تغيرات في أصل حالتها الأولى ضمن منظومة وحيدة من المادة، وليس للتغيرات الكيفية الظاهرة لحواس الإنسان أي علاقة بالفهم الحقيقي لحركات الأشياء المادية[4].

يقول الفيلسوف الفرنسي الملحد دينيس ديدروت: "إن أصل كل شيء هو الطبيعة الخلاقة، والشيء المهم في نشاطها الذاتي أنها منتجة لكل تغيير وكل تصميم"[5].

---

(1) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص٢٠.

(2) المذاهب الاقتصادية الكبرى، جورج سول ص ٥١.

(3) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٢٧٥.

(4) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج أو أرمسون، ص ٣٠٩ وعصر العقل، سوارت هامبشر، ص ١٠ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص٢٠.

(5) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 29.

ويقول باسكال: "للطبيعة من الكمالات ما يجعلها صورة لله، ومن العيوب ما يجعلها مجرد صورة له لا غير"[1]

ويقول بيكون: "لا نتحكم في الطبيعة إلا بإطاعتها"[2].

ويقول فرويد بعد أن ذكر أفعال الطبيعة من أنها تزلزل الأرض، وتنشق، وتبتلع الإنسان، وتثير الماء، وتغرق الأرض، وتأتي بالأمراض والموت الذي ليس له دواء يقول - بعد ذلك - : (إن الطبيعة بهذه القوى تنتصب في وجوهنا معادية عظيمة قاسية لا تُشفق ولا ترحم، وهي تذكرنا - أيضا - بضعفنا وعِوزنا اللذين كنا نأمل أن ننجو منهما)[3]، ويرى أن الأديانَ هي مَن صنع الإنسان الذي صنعته الطبيعة[4].

فأصبحت الطبيعة في نظرهم هي الرب الخالق والإله الجذاب الذي لم يقتل ابنه ولم يصلب أحدًا لإنقاذ البشرية.

وخُلاصة رأيهم أنَّ كُلَّ شيءٍ في عالم الطبيعة له تفسيره المادي، والتغيرات الطارئة عليه هي تغيرات في أصل ذلك الشيء، ولم يطرأ الأمر عليه بفعل أحد، مع عدم الإدراك الكلي لحقيقة ذلك التغير من وجهة النظر الإنسانية، وكل هذا من أجل الفرار من القول بوجود علة عُليَا غيبية لها السلطة المطلقة على هذا الكون.

---

(1) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٢٦٧.

(2) نفس المرجع.

(3) مستقبل وهم، فرويد، ص٢٢.

(4) نفس المرجع، ص٢٩.

المبحث الخامس

بوادر ظهور النظريات العقلية والتجريبية لفلاسفة الإلحاد النسبيّ

لقد تميّز القرن السادس عشر والسابع عشر منذ بداياته بانطلاق النظريات الفلسفية التي تُوحِي بوجود شك عميق في الطريقة التي تُفهم بها العقائد والأخلاق في التعاليم الدينية[1].

فقد عمَّت أوروبا موجة فكرية ثقافية تدعو إلى الوعي بالذات والواقع، وتثير العقل إلى النظر والتأمل، وتحثُّ الفرد على النقد والعصيان، تولاها جمع من الفلاسفة المفكرين ظهروا بآرائهم ونظرياتهم الجريئة، تلك التي تخطّ صفوف الزمن القديم وتُعِدُّ شعوب أوروبا لمرحلة جديدة، لا مجال فيها للملوك والرهبان ورجال الدين، بل الحكم فيها للعقل والعلم التجريبي[2]، ولا تتطلب المزيد من التدخلات من جهة الرب[3]- في نظرهم-.

---

(1) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ١٦٠.

(2) انظر: فلسفة الثورة الفرنسية غروتويزن، بوتار ص ٢٣-٣٨ وحلم العقل، أنتوني جوتليب، ص٥٠٩ وقصة الحضارة ٤٢/ ٤١٢.

حيث كان كثير من مفكري القرن السادس والسابع عشر مثل غاليليو، ورينيه ديكارت، وجوهانس كيبلر، وإسحق نيوتن، وفرانسيس بيكون، وبيندكت سيبنوزا، وجون لوك أبرز دُعاة المذهب العقلي، وكان كثير منهم يرى أن العالم يعمل مستقلا عن الإله، ويحول اتجاه اهتمامه إلى ناحية الذات[2].

وقد برزت ثلاثة اتجاهات عقلية في ذلك الوقت في نظرتها تجاه الدين، ويمكن أن تُذكر حسب ترتيبها الزمني وذلك فيما يلي:

- **الاتجاه الأول**: يرى أنَّ العقلَ لا يقدِرُ أن يصل إلى بعض الحقائق الموحَى بها ويعرفها من تلقاء ذاته، غير أنه ينبغي أن يفسرها عندما يعرفها لأنه قادر على إدراكها[3].

- **الاتجاه الثاني**: إمكانية الوحي[4]، وأن هناك حقائق عقلية يمكن للعقل البشري أن يصل إليها ويدركها مِنْ تلقاء نفسه، وهو يتكون من العقائد المسيحية التي تَقبل التعليل العقلي[5].

- **الاتجاه الثالث**: إنكار الوحي، لأنهم يعتقدون أنَّ العقل هو مصدر كل معرفةٍ واعتقادٍ دينيٍّ، وأنه ليس ثمة وحي إلهي، وكل ما جاءت بها الأديان

---

(1) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين ايليربي، ص ١٨٢.

(2) انظر: الفلسفة المعاصرة في أوربا، إ. م. بوشنسكي، ص ٢٤.

(3) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت ص ٧٦.

(4) أي الإيمان به مع الاعتقاد أنه لا ضرورة في وجوده.

(5) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٠٦ و١١٦ و١٢٣ و١٤٠ وفلسفة الدين والتربية عند كنط، عبد الرحمن بدوي، ص ١٣ و١٧ وأنسنة الوحي ص٤٠١.

وجميع المعتقدات إنتاج بشري استمده من عقله المجرد[1].

والواقع أن كل هذه المراحل التطورية الثلاث كانت تنبع من بوتقة واحدة، هي التفسير العقلي لقضايا ونصوص الدِّين، فعندما يفسر العقل في المرحلة الأولى ما يعرفه من حقائق الوحي فإنه لا يفسره إلا على حسب مقتضاه، دون النظر إلى التفاسير الدينية التقليدية، والتطور في المرحلة الثانية تطورا ملحوظا، حيث جعل الوحي ممكنًا بعد أَنْ كان ثابتًا، ثم مع إمكانيته جعل العقل والتجربة حقيقة من الحقائق التي لا يمكن الشك فيها، وجعل أحكامه أيضا تحكم بشكل مباشر على كثيرٍ من قضايا الوحي.

أما المرحلة الأخيرة فهي نهاية الأمر لدى فلاسفة العقل والتجريب؛ وهو إنكار الوحي بالمرة، وجَعْل العقل هو المصدر المعرفيّ الوحيد لكل الشؤون الحياتية، وفي هذه المرحلة نُفِيَ الدينُ، وعُودِيَت حقائقُهُ ومُسَلَّمَاتُهُ، وحُكِمَ عليها بالتخلف والخطأ، وهكذا أصبح الإلهُ في نظرهم فكرةً غير ضرورية في نظرهم.

وبما أن التطورَ الفكريَّ للإلحاد لم يولد في يومٍ وليلةٍ بل وُلِدَ نتيجة مخاضٍ مَرَّ على العالم الغربي المعاصر في عدة قرون، حيث بدأ ببعض الفلاسفة العقليين والتجريبيين غير ملاحدة الإلحاد المطلق.

وقد بدؤوا بنقد أصول الدين المسيحي، ولم يصرحوا بالإلحاد، أو أنهم لم يعتنقوه، لكنهم كانوا الطلائع الأولى لما بعدهم من الفلاسفة، ويمكن أن

---

(1) انظر: علم اللاهوت النظامي، القس: جيمس أنس ص ١٩ ومشكلة الفلسفة، د/ زكريا إبراهيم، ص ١٩٣.

نُبْرِزَ أهمَّ آرائهم فيما يتعلق بنظرتهم نحو الدين فقط فيما يلي:

١- رينيه ديكارت **René Descartes** (١٥٩٦ - ١٦٥٠):

وهو فيلسوف عقلي وإنساني، ويعد مذهبه أبرز المذاهب الفلسفية العقلية في ذلك العصر، لذا يصفه البعض بأنه "أول فيلسوف كبيرٍ حديث"[1]، أو "مؤسس الفلسفة الحديثة"[2]، أو بأنه "أول مَنْ وَضَعَ هذه الثورة الفكرية في قالَبها الأكمل"[3]، أو "أول من أيقظ الفلسفة بعد سُبَاتِ ألف عام"[4]، كل تلك الألقاب أُطلقت عليه، وغيرها كثير.

وقد دعا ديكارت إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة؛ فيقول عن العقل: "يشهد هذا بأنَّ قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل، وهي في الحقيقة التي تُسمى بالعقل أو النطق"[5].

ومع ثقته بالمنهج العقلي ثقة مطلقة إلا أنه يستثني تمريره على ميتافيزيقا الدِّين، ويرى أنهما متساويان في إدراك الحقائق، فكما نثق بالعقل فكذلك نثق في الله والدين والعقائد الكنسية والنصوص المقدسة، معتقدًا أن نصوص الوحي فوق مستوى العقل[6]، ويرى أنه لا مضايقة بين العلم والدين، ولا

(1) عصر العقل، سيوارت هامبشر، ص ٨.

(2) انظر: مشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٣٢٩ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ١٠٤.

(3) الفلسفة المعاصرة في أوربا، إ. م. بوشنفكي، ص ٢٤.

(4) حلم العقل، أنتوني جوتليب، ص٤٣٦.

(5) مقال عن المنهج، رينيه ديكارت، ص ١٠٨.

(6) انظر: مقال عن المنهج، رينيه ديكارت، ص١٣٨ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٣٣٥.

سلطان لأحدهما على الآخر[1].

كان يرى أن العقل يدرك البديهيات بالحدس، ويصل إلى الحقائق اليقينية، وأن الله لا يخدع أبدًا، فنثق في الله وفي العقل، ولنرفع الوصاية عن الإنسان لينطلق باحثًا عن الحقيقة، ومشيدًا للعلوم، ولذلك يرى بعضُ الباحثين أن ديكارت قد قدم "واحدة من أمضى صور العقلانية"[2].

ومع اتباع ديكارت للمنهج العقلي إلا أنه تأثر تَأَثُّرًا كبيرًا بمنهج الشك حتى وصل إلى قضية لا سبيل إلى الشك فيها وهي: (أنا أفكر فأنا موجود)[3].

ويبدو أن ديكارت قد أحس ضعف نظريته حينما قال: "... وعلى كل حال فقد أكون مخدوعًا، وقد لا يكون إلا قليلا من النحاس والزجاج ذلك الذي أعتبره ذهبًا وماسًّا فإني لا أعلم مبلغ الخطأ الذي نحن عُرضة له فيما يمسنا من الأمور"[4].

---

(1) انظر: الفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ١٠٤ وكارل ماركس، سربست نبي ص ٦٠ وتفكير كارل ماركس، نقد الدين والفلسفة، جان ايف كالفيز، ص ٤٦ وعصر العقل، سوارت هامبشر، ص ١٣ ص٦٧ والفلسفة المعاصرة في أوربا، إ. م. بوشنفسكي، ص ٢٥ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت ص ١٤٠، وهذه الازدواجية الديكارتية وجدت لها نظيرًا في منهج بيكون التجريبي الذي دعا إلى رفع الوصاية على الإنسان عن طريق الثقة في الحواس وفي الطبيعة. انظر: مشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٣٢٩.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 34.

(3) عصر العقل، سيوارت هامبشر، ص٦٨ والموسوعة الفلسفية، ص ١٤٠ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٣٣٢ وحلم العقل، أنتوني جولتيب، ص٥٣٣.

(4) مقال في المنهج، ديكارت، ص ١١٢.

٢- سيبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢-١٦٧٧م):

وهو فيلسوف عقلي وإنساني ، وقد طبق المنهج العقلي على الكتاب المقدس نفسه، ووضع الأسس التي قامت عليها "مدرسة النقد التاريخي" التي ترى أنه يجب أن تدرس الكتب الدينية على النمط نفسه الذي تُدرس به الأسانيد التاريخية، أي على أساس أنها تراث بشري، وليست وحيًا إلهيًّا، ولهذا سخر من كثير من قصص وحكايات نصوص الكتاب المقدس[1].

٣- باسكال Blaise Pascal (١٦٢٣-١٦٦٢م):

وهو فيلسوف وجودي وعقلي ، نحا باسكال منحى سيبينوزا في تطبيق المنهج العقلي؛ فيقول مثلا في نقده لعقيدة الخطيئة: "لا شيء يزحم العقل الإنساني بالألم كعقيدة الخطيئة الأصلية، وإنه ليبدو أبعد ما يكون عن العقل أن يُعَاقَبَ إنسانٌ من أجلِ خطيئةٍ اقترفها أحدُ أسلافه منذ أربعة آلاف سنة".

وقد كان باسكال يرى أن الإيمان الديني لا يخضع للعقل، بل يتعلق بالوجدان القلبي، فالله مستشعَر بالقلب لا العقل، ويُلحظ أن باسكال كان يصرح في بعض آرائه أنه يسعى إلى تعديل الدين المسيحي لا الإلحاد.

وقد كان عقل باسكال مليئا بالشكوك رغم تمجيده للعقل، بل يترجح

---

(1) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا، وانظر للاستزادة:
George Watson, The idea of liberalism atudies for new map of politics, p.141-150,
والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص١٦١ وعصر العقل، سيوارت هامبشر، ص ١١٤ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت ص١٤٢ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ١٢٠ والموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ٩٤ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٣٠/ ٢٠١ و٣٢/ ٤٢.

عندي أنه كان قريبًا جدًّا من مذهب اللا أدرية، فقد قرر أنَّ الأسس العقلية لا تدل على صحة الإيمان ولا على بطلان الإيمان، وبما أن العقل لا يستطيع أن يميز الإيمان الصحيح فقد نظر نظرة شك إلى كل شيء متعلق بالدين والميتافيزيقا.

٤- جون لوك John Locke (١٦٣٢-١٧٠٤م):

وهو أحد فلاسفة القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر ، وهو فيلسوف ربوبي عقلي ومنفعي وتجريبي، وممن يرونَ مذهب اللذة[1]، ومِنْ أوائل مَن دَعَا إلى الديمقراطية والليبرالية[2].

وقد طوّر الفيلسوف جون لوك منهج العقل تطورًا ملحوظا حيث طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض قائلاً: "مَن استبعدَ العقلَ ليُفسح للوحي مجالاً فقد أطفأ نور كليهما".

وكان لوك يرى أن الأفكار جميعها تأخذ مكانها في العقل من خلال الخبرة، وهي إما خبرة داخلية عن طريق التفكير في العمليات الفعلية، أو خارجية عن طريق الحواس، ويرى أن القانون الإلهي لا يمكن التعرف إليه بالفعل، وهو يوافق المنفعة[3].

---

(1) مذهب اللذة قديم، قال به الفيلسوف اليوناني أبيقور، ثم قال به جملة من فلاسفة عصر النهضة والتنوير، وهو يقوم - باختصار - على اعتبار أن الخير الوحيد هو اللذة. انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص٣١٣.

(2) انظر:

M. Judd, Hurman, Political Thought from Plato to the Present Megraw Hill, p 292-317.

(3) انظر:

Hefelbower, S, G. The Relationof john Locke to English Deism, Chicago,1918,

وكان يرى أنه لا توجد "مبادئ فطرية في العقل"، وأثبت أن جميع معارف الإنسان مكتسبة، ويرى أن مصدر معلوماتنا هي التجربة[1]، ويرى أن القانون الطبيعي مصدره مشيئة الله، وأنه يمكن إدراكه بنور الطبيعة من خلال إعمال العقل[2]، ويرى أن سمات الله كلها مستمدة من أفكار وردت من الإحساس والتفكير[3].

كما دعا إلى تطبيق مبدأ الحرية الدينية، وإعطاء الحق لكل إنسان في أن يعتنق ما يشاء ويكفر بما يشاء من الأديان والمذاهب، ويستثني من التسامح فريقين، هما فريق تتعارض معتقداته الدينية مع السلطة الحاكمة، وفريق لا يؤمن بالله[4].

٥- إسحاق نيوتن Isaac Newton (١٦٤٢ - ١٧٢٧م):

تعد نظرية إسحاق نيوتن من أعظم النظريات التي اتُّخذت وسيلة إلى الإلحاد مع صحتها في ذاتها، ومع أن نيوتن لم يكن من دعاة الإلحاد بل على العكس.

---

p.126-29.

(1) انظر: كارل ماركس، سربست نبي، ص ٦٣-٦٤ وفلاسفة القرن الثامن عشر، ايسايا برلين، ص ٤٠ وجون لوك، جون دن، ص٨١-١١٤.

(2) انظر: جون لوك، مقدمة قصيرة، جون دن، ص٦٨ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ١٧٠.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin. p. 35.

(4) انظر:

Political Thought from Plato to the Present Megraw Hill, M. Judd, Hurman, p 292-317.

أما نظريته فهي في الفيزياء الكلاسيكية، ويُعَدُّ عملُهُ تتميمًا لما بدأه جاليليو، فقد أرسى دعائم المنهج التجريبي، وقضى على المنهج الفلسفي الأرسطي[1]؛ فظهرت من خلالها نظريته القائلة بأنه: مِنَ الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعضٍ بمسببات حتمية، وأن العالم يتكون من مادة وإشعاع، والمادة تتكون من ذرات، والإشعاع يتكون من موجات[2]، وأنَّ جميعَ الأجسام الضخمة دائمًا ما تجذب جميع الأجسام الأخرى وفقا لقانون رياضي، واستخدم مفاهيم جديدة مثل "الكتلة" و"الجذب".

وقد أعلن في قوانينه للحركة أنها تقوم على ثلاثة أسس، هي:

١ - أن جميع الأجسام تظل على حالتها حركة أو سكونا ما لم تتأثر بقوة خارجية.

٢ - أن التغيير في حالة جميع الأجسام يتناسب مع القوة التي تسببت في هذا التغيير طرديًا.

٣- أن لكل فعل ردة فعل مساويًا له في المقدار ومضادًا له في الاتجاه[3].

وهذا بدوره أدى إلى تفسير الكون تفسيرًا آليًا ميكانيكيا على أساس أن للطبيعة قوانين ثابتة يتوصل إلى اكتشافها الإنسان.

وبذلك كان هذا الاكتشاف بمثابة النواة للمذهب الطبيعي والنظرية

---

(1) انظر: تشكيل العقل الحديث، كربن برينتون، ص ٤٧ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص١٤٧ وحلم العقل، أنتوني جوتليب، ص٥٢٨ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ٢٢٣ و١٩٧.

(2) انظر: نيوتن، روب أيلف، ص٢١.

(3) نفس المرجع ص١٠، وقد استخدم التبرير الميتافيزيقي في الاعتقاد بأن تأثير الصدمات مساوٍ لسببها.

الميكانيكية اللذين كان لهما صدى واسع فيما بعد، وبذرت بذرة الانقلاب في المفهوم الأوربي في فكرة "الإله" أو حتى في وجود الكون وطبيعته، وذلك عندما عرض نيوتن على الدنيا فكرة تُثبت أن الكون مرتبطٌ بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرامُ السماوية، ثم جاء بعده آخرون فأعطَوا هذه الفكرة مجالا علميًّا أوسع حتى قيل: إنَّ كل ما يحدث في الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم أسموه قانون الطبيعة[1].

مع العلم بأن نيوتن لم يكن ملحدًا بالمعنى العام للإلحاد، وإنما أنكر مساواة الابن بالآب، وأنكر الثالوث، ورأى أنه زائف، مع إيمانه ببنوة المسيح لله وصلبه[2].

٦- فولتير Voltaire (١٦٩٤ - ١٧٧٨م)[3]:

وهو فيلسوفٌ ربوبيٌّ في ظاهره ، مع أن له أقوالا تُوحي بأنه يعتنق الإلحاد المطلق، وقد كان من أعدى أعداء الكنيسة آنذاك، وقد شن هجومًا كاسحًا على رجال الدين، قبل أن يشنه على الدِّين نفسه، مبينًا تناقضَ تعاليم رجال الدين وكبار علماء الكنيسة، وقد صرّح بأن الأخلاق التي يوصي بها الكهنة والوعاظ من الفضائل المسيحية - كالفقر، والتواضع، والقناعة، والصوم، والورع، والسذاجة، والرحمة، وإرادة السلام، ومحبة الله - لا يلتزمون بها هم، وأنَّ لهم حياة البذخ، والأحاديث المتأنقة مع النساء والخدم،

---

(1) انظر:

religion without revelation n. y 1985 p 58.

(2) انظر: نيوتن، روب أيلف، ص٩٢.

(3) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص١٤٤.

والأرباح، والموارد، والمناصب، وتخويف الناس بالله من ناحية، ومن الشيطان من ناحية أخرى ليبقى على الشعب خنوعه وخضوعه[1].

ثم انتقل إلى مرحلة أخرى وهي نقد الدين نفسه، حيث انتقد العقيدة المسيحية في التثليث، وتجسيم الإله، والصور المقدسة، وأنحى باللائمة على "بولس" الذي طمس المسيحية وحرَّفها، وهو يعتبر أن الخطيئةَ الأولى إهانةٌ لله، واتهام له بالبربرية والتناقض، وذلك للتجرؤ على القول بأنه خلق الأجيال البشرية وعذَّبها لأن أباهم الأول قد أكل فاكهةً من حديقته، ويرى أنَّ المسيحيةَ تدعو إلى الاعتقاد بأشياء مستحيلة، أو بأشياء تستعصِي على الفهم، ويسخر من كثيرٍ من القصص الواردة في الكتاب المقدس كالحية تتكلم، والحمار يتحدث، وحوائط أريحا تتساقط بعد سماعها صوت الأبواق، ولذلك يرى أن الإيمان على هذا النحو هو الجنون، ويسخر من الكتاب المقدس سخرية لاذعة تتجلى في قوله تعليقًا على معلومات التوراة الجغرافية: (من الواضح أن الله لم يكن قويًّا في الجغرافيا)[2].

ثم انتقل إلى خطوة أبعد، وهي نقد مبدأ الألوهية الذي يتجسد في المسيح نفسه، فهو - في نظر فولتير - رجلٌ قَرَوِيٌّ من "الجَلِيلِ" بفلسطين متأخر حضاريًّا لكنه كان يفوقهم ذكاء فأراد أن يؤسس جماعة دينية[3].

أما آراؤه السياسية فقد كان يدعو إلى فرض قوانين وضعية تلزم الناس

---

(1) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ٣٠٤.

(2) كارل ماركس، سربست نبي، ص ٦٤ والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ١٧٨.

(3) انظر: إيماننا الأقدس، الأنبا يوأنس، ص ٢١.

بالسير عليها، ولم يعترف بأي سلطة دينية تقوم بها الكنائس فيقول: "إن التوحيد بين الدين والدولة لهو أبشع نظام، لذلك يجب إلغاؤه، وإقامة نظام آخر يخضع فيه رجال الدين لنظم الدولة، ويخضع فيه الراهب للقاضي"، ويقول: "إنه لا يمكن طاعة البشر باسم طاعة الله، لابد من طاعة البشر باسم قوانين الدولة".

فقد كانت آراء فولتير ثورة على الدين والقيم الدينية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بل وإلغاء النظام الديني إلغاء تاما واستبداله بالنظام المدني الذي يقف الجميع أمامه على السواء، وهذا التناقض الذي هو ديدن فولتير في منازعته للدين مع إقراره به يَظْهَرُ - بكل جلاء - حينما ينتقد الدين ويؤمن بوجود الإله، ثم ينتقد الإله ويؤمن بالقانون الطبيعي.

٧- جان جاك روسُّو **Jean-Jacques Rousseau** (١٧١٢-١٧٧٨م)[1]

وهو فيلسوف ربوبي ، أسس للفكرة الشيوعية والفكرة العَلْمَانِيّة، وهو من رواد الديمقراطية، وقد كان له أثر كبير على الاتجاه الفلسفي الأوربي بشكل عام؛ فقد كان لروسو - كما يرى روبرت ووكلر - أكبر الأثر في التاريخ الفكري الأوربي المعاصر، ربما يتجاوز أثر جميع معاصريه، فلم يتمكن أحد غيره من أن يثيرَ الخيالَ العامَّ أو يُربكه بهذا القدر من العُمق[2].

أما آراؤه ونظرياته الدينية فقد كان روسُّو يظهر بمظهر الملحد العنيد أحيانًا وبمظهر المؤمن أحيانا، فبعض أقواله تنضح إلحادًا مثل قوله: "لقد

---

(1) انظر:

M. A. Riff, Dicitionary of modern political Ideologies 1987. p45.

(2) انظر: روسو، روبت ووكلر، ص١١.

تحدث الله؟ يا لها من عبارة عظيمة، لكن إلى مَنْ تحدث؟! لقد تحدث إلى الناس.. إذن فلماذا لم أسمع من حديثه شيئا؟! لقد كلّف أُناسًا آخرين لكي يبلغوك حديثه.. فهمت! كان بودي لو سمعتُه هو بالذات، فذلك ما كان ليكلفه كثيرًا ولكنت بمأمن من التضليل! كم من أشخاص بيني وبين الله"؟![1]

ولروسو كلام حول أهمية الدين يوحي للناظر لأول وهلة أن روسو واقع في وَحَلِ التناقض، لكن الحقيقة هي أنَّ روسُّو يرى ضرورة الدين ووجود الإله ليس لأجل صحة ذلك الاعتقاد، وإنما لأجل حفظ النظام الاجتماعي - حسب ما يظهر لي -.

وهذا ما توصل إليه بعضُ الباحثين الغربيين حيث يرى أن كلام روسُّو عن "الدِّينِ" يُفضي إلى نَفي "الدين" بالكلية، وإنكار الأديان، وإرساء بعض القوانين والنظم التي تسمى دِينًا، يُلزم بها كل أفراد المجتمع إلزاما تاما، وذلك من أجل قيام المصلحة الاجتماعية ومسيرتها، بالإضافة إلى دعوته للمذهب العَلماني[2].

أما نظريته التي اشتهر بها فهي نظرية "العَقْد الاجتماعيّ"، حيث يرى فيها أن الإنسانَ - بطبعه - لا يستطيع أن يعيش بمفرده، بل لابد من اجتماعه مع غيره من بني جنسه، ولَمَّا كانت إرادتهم تختلف وتتضارب فإن اجتماعهم لا يستقيم له حال إلَّا إذا كان مبنيًّا على "تعاقد" فيما بينهم يتنازل بموجبه كلُّ واحدٍ منهم عن حقوقه كافة للجماعة التي ينتمي إليها، والتي تجسمها الدولة

---

(1) انظر: روسو، مقدمة قصيرة، روبرت ووكلر، ص١١٥ ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص٤٠١.

(2) انظر:
political Thought from plato to the present. Megraw Hill M. Judd, Hurrman, p.292

كشخصٍ اعتباريٍّ ينوب عن الناس في تنظيم ممارستهم لحقوقهم، وبذلك تتحول تلك "الحقوق الطبيعية" إلى "حقوق مدنية"، وتبقى الحرية والمساواة هما جوهر هذه الحقوق"[1] فيحل القانون محل الإدارة الفردية وما تحويه من أهواء وما تجرده من خصومات[2].

الطريف في الأمر أنَّ روسُّو طبَّق نظريته في العَقد الاجتماعي حتى على "الدِّين"، ولهذا نراه في الفصل الثامن من الكتاب الرابع من كتابه "العقد الاجتماعي" يرى أنه يجب على الدولة أن تستقي قُوَّتَها من قُوَّة أعضائها، ولأجل ذلك يجب أن تَطْلُبَ الدولةُ من رعاياها اعتناقَ دينٍ مدنيٍّ بحتٍ، يفرضه صاحب السيادة فقط لإثارة المشاعر العامة للارتباط الاجتماعي، وينبغي أن تضم عقائده وجود إله قادر قاهر لبيب، وخير وقداسة العقد الاجتماعي، والقانون، وتحريم التعصب، ويجب أن يُقصي من أراضيه كل المتعصبين الذين لهم تهديد على الآخرين، ويرى وجوب إعدام الذين يخونون ولاءهم المدني، أي الذين يُبْدُونَ استعدادهم لمخالفة القانون، ويرى أنَّ للتعصبَ آثارًا سياسية مشؤومة[3].

وقد كان روسو جريئا في تحديه للدين، وخروجه عن أخلاق وتقاليد عصره، فقد أنكر أن يكون الدين من الأخلاق، بل الدين في نظره يُفرَض من

---

(1) انظر:

A dictionary of Political thought Pan Reference, Roger Scrutn, p.115-116.

(2) انظر: العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ص٣٧ وص٣٩ وما بعدها وفلاسفة القرن الثامن عشر، ايسايا برلين، ص ٤٠ والفلسفة الغربية، برتراند رسل ٣/ ٢٧٨ وروسو، روبرت ووكلر، ص٦٣.

(3) انظر: روسو، روبرت ووكلر، ص١١٦.

أجل المصلحة الدنيوية، ويرى أن المجتمع دين مدني، وأنه يتعين على الدولة أن تنكر دينًا كالمسيحية يفصل بين الروحي والسياسي، وأن لا تطيق إلى جانبها سلطة كنسية، ويرى أنه: "إنما لزم الدِّين لأنه ما من دولة قامت إلا وكان الدين أساسها، على أن يكون هذا الدين قاصرًا على العقائد الضرورية للحياة، تُفرض كقوانين حتى ليُنفى أو يُعدم كل من لا يؤمن بها، لا باعتباره كافرًا، بل باعتباره غير صالح للحياة الاجتماعية".

ويحق لنا أن نتساءل: ما هي العقائد الضرورية من وجهة نظر روسُّو التي من أجلها يحكم بإعدام مَن لم يعتنقها؟ يجيب بقوله: (هذه العقائد هي عقائد القانون الطبيعي؛ وجود الله، والعناية الإلهية، والثواب والعقاب في حياة آجلة، وقداسة العقد الاجتماعي والقوانين، وللكل أن يضيف إليها ما يشاء من الآراء في ضميره)[1]، ولذلك أنكر الدين الطبيعي الذي قالت به الفلاسفة، وأنكر دين الوحي الذي قال به اللاهوتيون، ودعا إلى هذا الدين المدني[2].

ويمكن تلخيص آراء روسُّو الدينية فيما يلي:

- يدعو إلى نظرية العَقد الاجتماعي وتنازل الفرد عن حقوقه لأجل المجتمع والدولة، ورغم مخالفة هذه النظرية لواقع الإنسان – الذي

---

(1) انظر: نفس المرجع ص٢٢.

(2) انظر:

Hans Gerhard "Kippenberg Religion, Religions.philosophie" inEnzyklopidie, Philosophie In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jörg Sandskühler (Hamburg: Felix MeinerVerlag, 2010) Band) 3, s. 2297 - 2306

(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية إلى العربية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/ ٢٠١٧م. ص٥.

جُبِلَ على حب التملك - لا يمكن تطبيق هذه النظرية على أرض الواقع وإلا أفرزت تعطيل الفرد على الحصول على حقه، وأقل ما يقال عن هذه النظرية أنها أسست للنظرية الشيوعية التي تبناها كارل ماركس، وبدلا من إرساء قواعد مبنية على العدالة للنظام الاقتصادي الكنسي والإقطاعي أرسى قواعد النظام الشيوعي الظالم، فأراد أن يداوي الداء بداءٍ أعظم منه.

- أنه دعا إلى إماتة الدين المسيحي وغيره من الأديان، واستبدال "الدين المدني" بذلك، وهو يقوم على الإيمان بالله، وإرساء العقد الاجتماعي، وعدم مخالفة القانون.
- يرى وجوب تطبيق "الدين المدني" لأجل استتباب الأمن السياسي، وبناء الدولة، وليس لأجل صحة الدين ذاته.

٨- ديفيد هيوم David Hume (١٧١١-١٧٧٦):

هو فيلسوف فرنسي ربوبي ، من رواد الفلسفة النفعية، ومن دعاة الشكية، ومن أوائل دعاة الديمقراطية، ومن معتنقي مذهب اللذة، ومن القائلين بأصالة التجربة، كان شغوفا بالأدب والفلسفة، وله مؤلفات منها رسالة في الطبيعة والبشرية، والتاريخ الطبيعي للدين.

وقد تبنّى هيوم الفلسفة التجريبية، وقلل من شأن العقل، وقال بأنه لا

يدرِك كافة المعارف والحقائق الكونية، بل لا يتألف إلا من إدراكات حسية[1].

يقول ديفيد هيوم: "العقل عبدٌ للأهواء، ولا يمكنه إلا أن يكون كذلك، فلا دَور له إلا خدمتها وإطاعتها".

فهو يرى عدم تجاوز الخبرة الحسية، وينكر أي شيءٍ باستثناء الصور الحسية، وكل فكرة عنده هي استيهام حسي، وبالتالي لا توجد عنده معرفة عقلية، أي أَنَّ العقل المجرد - عنده - غير موجود.

لقد رفض هيوم العِلَلَ الفاعلة والعِلَل الغائيَّة، واكتفى فقط بالعلل الصُّورِيَّة، ودعا إلى أن لا نبحث عن سبب الحوادث خارجًا عن المظاهر، فهو يقول بوجود نوع واحد من العلل، هو "العلة الطبيعية". فِـ"المعرفة" عند هيوم كلها مكتسبة، وهي تنقسم إلى قسمين:

١ - انطباعات حسية، وهي بمثابة إدراكات قوية، وهي الإحساسات والانفعالات والعواطف.

٢ - الأفكار، وهي إدراكات حسية ضعيفة، ولا تكون للفكرة أي قيمة إلا إذا كانت صورة لأثرٍ حِسِّيٍّ[2].

وتتم العملية العقلية - عنده - عن طريق "قانونِ التداعي بين الأفكار"، أي أَنَّ وُرُودَ فكرةٍ تستدعي ورودَ فكرةٍ أخرى، ويرى أنَّ العَلاقة بين المعاني هي "قانون العلية"، وهو أساس العلوم الطبيعية والتجريبية.

ومن هنا طَبَّقَ هذا المنهج على الدين، ولهذا حاول في كتابه "التاريخ

---

(1) انظر:

Alan Bullock, Oliver Stally Brass, The Fontana Dictioary Of modern thought 1980, p. 488.

(2) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون، ص ٤٠٢.

الطبيعي للدين" دراسة الدين كظاهرةٍ، فبحث عن الأساس العقلي للدين، ثـم بحث عن منشأ الدِّين ومَنبته لـدى الإنـسان، وادعـى أنَّ الـدينَ الأول للإنـسان هو تعدد الآلهة، ثم طرأ التوحيد بعد ذلك على البشر، وادَّعـى أنَّ الـدينَ لـيس طبيعيًّا وغريزيًّا في الإنسان، ولذلك سعى إلى البحث عن عِلَلِهِ، وكـان يـرى أنَّ التأملَ في الطبيعة يولِّدُ فكرة الله المدِّبر الوحيـد، لكـنَّ منعطفـات الحيـاة تُثبـت وجود قوى مؤثرة"[1].

---

(1) انظر:

Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 53.

المبحث السادس

أبرز النظريات الإلحادية في عصر التنوير

يعتبر أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر نهاية عصر الشك وبداية مرحلة اليقين الذي وصل إليه فلاسفة الإلحاد، تلك المرحلة التي استحكم في نفوسهم العداءُ للدين ولأهل الدِّين، بل ولرب الدين، فلم تعد موافقة الدين للعقل هي المطلب الأسمى لهم[1]، بل أصبح مطلبهم هو نفي الدين بالكلية وحذف اسم "الله" وإحلال الإله الجديد، ذلك الإله المسمى بـ"المادة"[2].

وقد انبثق في هذه الحقبة من الزمن ما يعرف بمصطلح "ما بعد الحداثة" لدى كثير من المؤرخين، والتي يُطلق عليها في الفرنسية "post-modernity"، والتي يعرّفها بعض المفكرين بأنها "زمن استحالة التحديد"[3].

(1) انظر: الحضارة الأوربية في عصر الأنوار، بيير شونو، ص ٧.

(2) انظر:

A. Giddens, The Consequences of Modernity p. 3.

(3) انظر: ما بعد الحداثة، مارجريت روز، ص ١٣ ما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بعورة، ص ١٢ و"حوار" في مجلة الكلمة، لإيهاب حسن، ص ١٤.

ومن مفهوم "عدم التحديد" انطلق فلاسفة هذه الحقبة ثائرين على كل تحديد يملي عليهم الوقوف عند حده.

وكان مما ميز هذه الحقبة أنَّ فلاسفةَ هذا العصر اتخذوا ألفاظا متقعرة ومعاني غامضة للتدليل على نظرياتهم؛ يقول الفيلسوف الأمريكي جون سيرل عن أحد نصوص فلاسفة ذلك العصر فيما نشرته مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس: "... فالنص مكتوب بأسلوب شديد الغموض إلى حدٍّ يجعلك عاجزًا عن تحديد الموضوع بالضبط"[1].

ويعضد هذا الرأي الفيلسوف الفرنسي "رولان بارت" في كتابه "الأعمال الكاملة" حيث يقول: "... لقد وجد بالتأكيد أسلوب عالمي جديد من الكتابة ساد بين رجال النخبة الأوربيين"[2].

وعلى أي حالٍ فما إن بدأ القرن الثامن عشر حتى اشتعلت الحرب الضروس بين الكنيسة ورجالها وبين أصحاب النظريات الإلحادية الذين أعلنوا نظرياتهم الإلحادية أمام الملأ، ووقفوا بها في وجه مسوح الكنيسة ورُهبانها، مما كان له أكبر الأثر في انتصار الأفكار الإلحادية في شتى الاتجاهات، والتي مرَّغت أنوف رجال الدين في الوحل، ومقتت الدين وجميع تعاليمه، بل وانتشرت العبارة الشهيرة بين كثير من فلاسفة هذا العصر، وهي أن "الدين أفيون الشعوب"[3]، وأعلنوا فيه "قتل الإله"[4]،

---

(1) مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس، عدد ٢٧ أكتوبر، ١٩٨٣م وما بعد الحداثة، كريستوفر باتلر، ص١٥.

(2) الأعمال الكاملة، رولان بارت، المجلد الأول، ما بعد الحداثة، كريستوفر باتلر، ص١٥.

(3) انظر:

Kant(I.), Religion withen the limits of reason alon, trans with intro And nots by

وقالوها بكل صراحة ووقاحة: "إن فرضية وجود الله أصبحت عديمة الجدوى"[1]، وتزعموا مهمة تخليص الفلسفة من فكرة "الله"، وأعلنوا أنه لم يعد في وُسعهم الآن أن يلمسوا من الله سوى جثة هامدة[2] - تعالى الله عن أقوالهم -.

يقول جون بول سارتر: "لما قامت النظريات الإلحادية في القرن الثامن عشر قضت على فكرة الله فلسفيًا"[3].

أما القرن التاسع عشر فهو العهد الذي وقف فيه الإلحاد بكل قامته، واحتُرم كموقف فكري محترم بين النخب الفكرية والمثقفين الغربيين، أما النخب العاملة فكان موقفهم أشبه بموقف اللا أدرية أو موقف عدم الاكتراث - حسب رأي "دليل كامبردج للإلحاد" -[5].

وعلى أي حال فقد قويت تلك النظريات الإلحادية، فلم تعد تلك الخجولة الخائفة أمام طغيان الكنيسة، ولم تقف موقف النِدّ للندّ مع رجالاتها.. كلا.

لقد تعدت تلك المرحلة بمراحل، فانتقل جبروت الكنيسة إلى جبروت الإلحاد.

---

theodore. m. greene and h. hudson, edited by harpper and brother, n. y. 1960. (n.b) p. 72,

(1) انظر: كارل ماركس، سرست نبي، ص ٦٥، وانظر: الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ص ١٤٣.

(2) النظرية المادية في المعرفة، ص ١١.

(3) انظر: مشكلة الفلسفة، د/ زكريا إبراهيم، ص ٢٠٠.

(4) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص ١٢.

(5) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin, p 30.

لقد انقلب السِّحْرُ على الساحر - كما يُقال -، فأصبح المشردون مشردون والمضطهدون مضطهدون في أنحاء كثيرة من البلدان التي قلعت عنها وصاية الكنيسة وهيمنة رجال الدين.

ففي ألمانيا عانى كثيرٌ من قسوس الكاثوليك البارزين أو لقوا حتفهم في معسكرات الاعتقال، وفي يوغسلافيا والمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا عانى معظم الأفراد المهمين في سلك الإكليروس من السجن لفترات طويلة أو قصيرة، وكان عدد القسوس والراهبات الذين ماتوا في معسكرات العمل أو جرى إعدامهم على يد السلطات في أنحاء العالم الشيوعي هائلا[1].

ومن ثم فقد أصبح المعوّل عليه في إثبات جميع المعارف الدينية وغيرها هو: العلم، والتجربة، وكل معرفة حقة مرتبطة بالتجارب[2]، بحيث يمكن فحصها أو إثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة[3].

ولهذا يقول ريشنباخ[4] عن تطور الفلسفة في هذا العصر: "مَرَّ العلمُ منذ

---

(1) موسوعة الأديان الحية، ز. س. ريفنز، والكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني،كوربيلشي، مشرف كنيسة فارم ستريت، ص ٣٢٤.

(2) كلمة "التجريبية" مشتقة من الكلمة اليونانية empiria، وتعني: استخدام المناهج التي تقوم على التجربة العلمية بدلا من أن تقوم على مجموعة من المبادئ النظرية المُسَلَّم به. انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ١١١.

ويعرِّفها هيوم بأنها: النزعة القائلة بأن كل معرفة مستمدة في نهاية الأمر من الخبرة، نفس المرجع ص٤١٤.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to **Atheism**, Michel Martin p 31.

(4) هانز رايشنباخ Hans Reichenbach ولد عام 1891م، وتوفي عام 1953م، وهو فيلسوف وفيزيائي وعالم منطق ألماني، من المؤسسين لمذهب الوضعية.

موت "كانط" بتطور كان تدريجيًا في البداية، ثم ازداد معدلُ سرعته بالتدريج، وفي هذا التطور تخلَّى العلم عن كل الحقائق المطلقة والأفكار المسبَّقة.."[1].

لقد نشأت كثيرٌ من المذاهب الإلحادية في ذلك العصر، تختلف في معطياتها ومسلَّماتها، وتتفق على إنكار وجود الله، ولا يعني أن كل رواد تلك المذاهب كانوا على الإلحاد.

المذهب الوجودي - كمثال - يقسمّه أحد أساطينه وهو الملحد جون بول سارتر إلى اتجاهين، هما الاتجاه المتدين، ويمثله المسيحيان جيريل مارسل ويسبرز، والاتجاه الثاني هو الوجودية الملحدة، ويمثله "الوجوديون الفرنسيون وأنا"[2] يتحدث سارتر عن نفسه.

ولذلك سوف نأخذ بعض الأمثلة على تلك المذاهب مع التمثيل لكل مذهبٍ برائدٍ من رُوَّادِهِ من الملاحدة على وجهِ الخصوص، وذلك فيما يلي:

أولا: المذهب البراجماتي الإلحادي: ومن أبرز من يمثله:

جون دِيوِي John Dewey : (١٨٥٩-١٩٥٢م)

هو فيلسوف براجماتي ملحد ، وهو مذهب يقوم على تأمل الوجود الإنساني، وإبراز قيمة الوجود الفردي، وأنَّ الإنسان يسبق ماهيته، أي هو الذي يختار ماهيته بخلاف الأشياء الأخرى.

وتتلخص آراؤه في تحليل: العناصر الثقافية، وتشكيل العناصر العقلية، والقيام بتطوير تلك التصورات والأفكار، ووضعها تحت التجارب المتوالية.

---

(1) نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريشنباخ، ص ١١٦.

(2) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص ١١.

وتقوم الفلسفة البرجماتية على تبرير النظريات الفلسفية حسب تأثيرها والفائدة المرجوَّة منها، ولذلك تتجاوب مع الفلسفة المثالية ونظرية التطور الداروينية فتحكم على صحة الاعتقاد بآثاره، وترى أن الطبيعة هي المتحكم الأول في المعرفة وأن الوجود مرتكز على الفعل، وتقوم على نقد المذهب التجريبي وعلى أسبقية الخبرة الواقعية[1].

ثانيا: المذهب النفعيّ: ومن أبرز من يمثله:

بارون دولباخ Baron d Holbach (١٧٢٣-١٧٨٩م) :

هو فيلسوف فرنسي ملحد، كان يتهم الأديان بأنها منبع الأمراض، وكان دولباخ كسائر زعماء المنفعيين الذين يرون أن النفعية مذهب يجعل من المنفعة مبدأ جميع القيم سواء في مجال المعرفة أو الأخلاق أو غيرها، وهذا يذكرنا بالمذهب الأبيقوري القديم، ويرى المنفعيون أنَّ صوابَ أي عمل إنما يعتمد على مقدار ما يُسهم به في السعادة الإنسانية أو التخفيف من شقائها[2]، وأن السعادة تكمن في اللذة ومقدارها وكيفيتها، وهذا يرجع إلى مدى استلذاذ الفرد أو الجماعة، ويرى أن كل إنسان لا يرغب إلا في سعادته الخاصة، ويرى أن الطريق إلى السعادة هو عمل الملذات واجتناب الآلام، والطريق إلى ذلك ليس من قِبَل قوة عليا، بل هي الطريقة التي بها يساهم كل جزء من كل في تحصيل الغاية التي ترسمها له طبيعته، ومثّل لذلك بالجسم الذي تؤدي كل

---

(1) انظر:

John Gingell, Adrian, Little, Modern Political thought 2000, p. 194, Dewey, j. Development of American pragmatism in "contemporary American philos., vol. II, p.31-51.

(2) انظر: الموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص ٣١٣.

وظائفه باعتدال، كما دعا إلى "نظرية العَقْد الاجتماعي" التي بموجبها يتعهد كل فرد من الجماعة بأن يعمل على خيرها وأن يحترم مطالبهم(1).

أما نظريته في الدين فقد طبق النفعية أيضا على الدين، ودعا إلى المذهب النفعي، منكِرًا أي حياة أخروية، ساخطا على كل مأثور ديني واجتماعي.

فهو يصرح بأن عقيدة الله المأثورة نسيج من المتناقضات، وأن فكرة الله هي الضلالة المشتركة للنوع الإنساني، ويدعو إلى الإيمان بالإله الجديد المسمى بـ "المادة"، ثم يقول: "أيُّ إله طيب ذلك الذي يحتدم غضبًا، لا يستطيع تنجيز ما يَرْسِمُ من مقاصد! الإله العادل الذي يرضى لعباده الأبرياء أن يكابدوا الظلم! أي موجود شامل العلم ذلك الذي يجد نفسه مضطرًا إلى اختبار الخلائق!...".

وينكر دولباخ رجوع الروح بعد الموت، ويعتقد أن ذلك شؤما على البشرية، وحملها على أن تهمل في إصلاح هذا العالم، بناء على أنه سوف يكون هناك عالما أخرويا سيكون فيه كل شيء على ما يرام(2).

رابعا: المذهب العلمي الإلحادي: ومن أبرز من يمثله:

---

(1) انظر: الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، برتراند رسل، ٣/ ٤٢٠ ومبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ص ١٤٨ وكارل ماركس، سربست نبي، ص ٦٦ والإنسان المتمرد، ألبير كامو، ص ٦٤ والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ٢١٧- ٢٢٠ ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٤٩٢ وص٤٧٣.

(2) انظر:
Baron d'Holbach (1769). On religious cruelty. De la cruautéréligieuse. 1769, [n.p.] London; Translated: for marxists. org by Mitchell Abidor 2005 https://www.marxists.org/reference/archive/holbach/1769/religious-cruelty.htm

داروين Charles Robert Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م):

هو أحد أشهر فلاسفة الإلحاد في عصر التنوير ، وتعتبر "نظرية داروين" من أهم النظريات الحديثة التي أسهمت إسهاما كبيرا في نشر الإلحاد بين الأمم والجماعات، حيث اعتبرها كثير منهم مبنية على حقائق علمية لا يمكن ردها، وبين أن التصميمات المعقدة في الكون ليست مصممة عن تصميم ذكي، وإنما جاءت نتيجة للاصطفاء الطبيعي، إما بالصدفة أو الانتخاب أو خاصية المادة، ولا يزال الجدل حول أفكاره إلى اليوم[1].

وقد عمل داروين في مجال البحث عن أصل الأنواع وعن بداية نشوء الحياة على سطح الأرض معتمدا في دراسته على المستحاثات المدفونة في باطن الأرض، فظهرت نظريته مدعمة بأدلة أثرية وتاريخية في نظر المدافعين عنها، وهم يرون أن لها من القوة ما يكفي لتقف موقف الند للند في مواجهة الأديان، وذلك منذ بروز هذه النظرية، ولا تزال لدى الكثير إلى اليوم.

يقول ويلز: "الحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة في المسيحية...، على أن هؤلاء كانوا أُناسا غير عاديين، أما الآن - أي بعد نظرة داروين - فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الإجمال متشككة".

وقد أصدرت إحدى مكتبات نيويورك لكتب الجيب - وهي "Modern poc; ke; library" - - سلسلة من الكتب تحت عنوان "الإنسان والكون" Man and the universe، وقد جاء في الكتاب الخامس من هذه السلسلة أن

---

(1) انظر:

Burgt, p. (2011). Darwin,s Impact on the Relation between Science and Religion. The 2011 Walton Lecture on Science and Religion
http://www.cis.org.uk/ireland/walton/documents/Darwin's_Impact_Walton_Lecture_2011_review.pdf

كتاب داروين "أصل الأنواع" "كتاب غَيَّرَ مَجرى التاريخ"، وجاء فيه: "إن الإنسان يبذل جهده منذ عصور سحيقة لمعرفة شجرة نسبه، وفي هذا الصدد لم تلق نظرية ما معارضة دينية مثلما واجهت نظرية تشارلس داروين حول الانتخاب الطبيعي، كما أن أي نظرية لم تتمتع بالتصديق العلمي مثلما تتمتع به النظرية نفسها".

ويقول عنها البروفيسور "ماندير": "لقد ثبت صدق هذه النظرية، حتى إننا نستطيع أن نجعلها أقرب شيء إلى الحقيقة".

ويقول العالم الأمريكي "كسبمسن" المعروف بحماسه لنظرية الارتقاء: "كان داروين أحد عمالقة التاريخ الذين ساهموا بجهود واضحة في رُقِيّ العلم الإنساني، لأنه أثبت نظرية الارتقاء على أنها حقيقة نهائيا وكليا".

وهذه الأقوال غيض من فيض من الثناء العطر على نظرية داروين من قِبل معتنقيها أو المؤيدين لها.

وقد فصَّل داروين هذه النظرية في كتابه أصل الأنواع، حيث ذكر تنوع الكائنات الحية وتطورها من بعضها البعض (أو النشوء والارتقاء) من الأدنى للأعلى بدون الحاجة لأي تدخل إلهي، بمعنى أنَّ الكائنات وحيدة الخلية التي كانت تبدو بسيطة في عصره زعم أنها تطورت إلى الكائنات الأعقد والمتعددة الخلايا، وهكذا بالتدرج البطيء عبر الزمن فيما تخيله من شجرة الحياة، حيث تبدأ الحياء في الماء ثم تتطور حتى تخرج إلى البر في البرمائيات والزواحف، ثم تتطور عنها الطيور والثدييات، ومن الثدييات مجموعة القردة بدون ذيل Ape والتي منها ستتفرع القردة العليا (مثل الغوريللا والأورانجتان والبونوبو) والإنسان.

وأما الوسائل التي ستتطور بها الكائنات فهي التغييرات التي تحدث في أجسامها عبر الزمن لتلائم بيئتها واستجابة لمتطلباتها وكثرة استخدامها لأعضاء معينة في الجسم أو قلته، حيث ما يوافق منها البيئة سيبقى، وما لا يناسب البيئة سيفنى ويموت، أو يقتله ويتغلب عليه الأقوى والأصلح منه، وهو ما يُعرف بالانتخاب الطبيعي كما أشار إليه في عنوان كتابه.

واستدل على ذلك بالحيوانات القديمة قبل ملايين السنين التي اكتُشفت عظامها، حيث كانت بسيطة التركيب، ثم ظهرت أنواع أكثر تعقيدا ورقيًّا، وهذا يعني أن كل الأنواع لم تظهر للوجود في وقت واحد، بل ظهرت الأنواع البسيطة أولا، وهذا يدلنا على اكتشاف مهم، وهو أن الجد الأعلى لجميع الكائنات جد واحد، وأنها كلها تنتمي إلى أسرة واحدة، بدليل تشابه النظام الجسماني لكل الحيوانات، ويؤكد هذا أنك تشاهد أولاد أم واحدة غير متشابهين، بل توجد فروق بينهم، وهذه الفروق تتطور وتكبر بعد ملايين السنين، حتى إن الزرافات - وفق هذا الزعم - لم تكن طويلة العنق لكن استطال بمرور ملايين السنين.

يقول داروين: "إن الإنسان - مثله مثل أي حيوان آخر - تَقَدَّمَ - بلا شك - إلى وضعه الرفيع الحالي من خلال الصراع من أجل الوجود، وذلك نتيجة لمضاعفته السريعة، وإذا كان سوف يصعد متقدمًا أكثر، يخشى أنه لا بد أن يبقى خاضعا لخدمة الصراع، وإلا فإنه سوف يغرق في الكسل والعطالة، والناس الموهوبون أكثر من سواهم لن يكونوا أكثر نجاحا في معركة الحياة من الذين هم أقل موهبة).

وكلُّ ذلك الارتقاء كان عامله الأول ومسببه الأعظم الطبيعة، يقول

داروين: "الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حَدَّ لقدرتها على الخَلق".

ويقول: "إن تفسيرُ النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت"[1].

لكن داروين لم يستطع الإجابة على سؤال مهم - على فرض صحة نظريته - وهو: ما هي القدرة الحقيقية التي أنشأت تلك التحولات النوعية لدى الكائنات الحية؟

وعلى كل حال فقد كان ظهور هذه النظرية في عصر ازدهار النظرية الميكانيكية أحد العوامل المشجعة على قَبولها، فكلا النظريتين تُرجع الحوادث الكونية كلها إلى قوانين الطبيعة العمياء فرارًا من نسبتها إلى إله الكنيسة[2].

والحقيقة أن الداروينية أصبحت هي العصا السحرية لكل ملحد، برر إلحاده بنظرية التطور الداروني، حيث انسحب القول بالتطور من الإنسان إلى دين الإنسان، بل إلى كل نواحي الحياة، سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو واقعية أو غيرها، مع أن أول ما يرد على النظرية الداروينية هو عدم وجود الدليل على وجود الجد الأعلى الجامع لشتى الكائنات، ويشهد على ذلك التاريخ والواقع، فلم يُعرف على مر التاريخ تحول كائن من نوع إلى نوعٍ آخر.

خامسا: مذهب التحليل النفسي الإلحادي: ومن أبرز من يمثله:

سيغموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩م):

---

(1) انظر: أصل الأنواع، تشارلز داروين، ص ٣٩-٤٩.

(2) انظر: الدين في مواجهة العلم ص ١٨ -١٩ وأصل الإنسان، موريس بوكاي، ص ٣٧.

يُعد الطبيب الفرنسي اليهودي سيغموند فرويد أول مَنْ اخترع نظرية "عُقْدَة أُودِيب"، حيث راح يفسر الحياة ومشاكلها وكافة أمراضها تفسيرات جنسية غريبة، ومن خلالها تطرَّق إلى نفي الديانات، وآمن بالإلحاد؛ يقول فرويد: "الدين شبيه بالعصاب الطفولي، وسوف تتجاوز الإنسانية هذه المرحلة العصابية"[1].

ويرى فرويد أنَّ هذه النظرية فيها غنية عن الدين والتدين، ولذلك يقول فرويد - في معرِض تفنيده لحُجج المؤمنين - حيث ذكر أن من حُججهم أن نؤمن بما آمن به الأسلاف، ويعلل ذلك بأنَّ "الأسلاف كانوا أشد جهلا منا بكثير، وكانوا يؤمنون بأشياء يتعذر اليوم قبولها، فهذه النصوص تعج بالتناقضات والمراجعات والتدليسات، ولا يمكن الوثوق إليها حتى عندما تتكلم عن وقائع ثابتة أمام نصها الحرفي أو على الأقل لمؤداه وفحواه"[2].

ومن هنا يرى فرويد أن نظريته في الجنس اكتشاف عظيم فيقول عنها: "يحق لي أن أقول إنه لو لم يكن للتحليل النفسي إلا فخر اكتشاف عقدة أوديب المكبوتة لكان ذلك خليقًا أن ينظمه في عداد أثمن ما كسبه الجنس الإنسانيّ حديثًا"[3].

و"عُقدة أوديب" هذه ترى أن الدافع الوحيد للإنسان من ولادته إلى وفاته هو الدافع الجنسي، فالمولود يرضع ثدي أمه بدافع جنسي، ويتبرز

---

(1) انظر للمزيد:

Gallagher. C. (2011). What can we learn from Freud's critique of religion? A paper presented to the Conference of All Hallows. The proceedings of *Mental Health, Practical Theology and Spirituality*

(2) مستقبل وهم، فرويد، ص ٣٦.

(3) الموجز في التحليل النفسي، فرويد ص ٢٩.

بدافع جنسي، ويظل يتعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده، والدين والأخلاق والمثل العليا كلها نابعة من هذا الدافع أيضًا[1]، وهذا ما يُعرف عنده بِـ"الجبرية النفسية" حيث تجعل الإنسان خاضعًا لغريزته مسيَّرًا بها، بلا اختياره، فهو لا يملك إلا الانصياع لأوامرها وإلا وقع فريسةَ الكَبْتِ المدمِّر للأعصاب.

ولهذا يقسِّم فُرويد المراحل الجنسية إلى ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى**: وهي ما بعد الولادة، حيث تكون العَلاقة بين الرضيع وأمه علاقة جنسية، ويستدل لذلك فيقول: ".. فإلحاح الطفل على المصّ وتشبثه به في مرحلة مبكرة ينم بوضوح عن حاجة إلى الإشباع... يمكن - بل يجب - أن تُوصف بأنها جنسية".

- **المرحلة الثانية**: وهي المرحلة السادية الشرجية لأن الإشباع فيها يطلب في العدوان وفي وظيفة الإخراج، وهي مرحلة الكمون فلا تبدو فيها آثار النشاط الجنسي.

- **المرحلة الثالثة**: هي مرحلة البلوغ، وتسمى "المرحلة القضيبية"، وفيها تبلغ الجنسية الطفلية الأولى ذروتها، وتقترب من اضمحلالها، تختلف مصائر الصبيان والبنات فيدخل الصبي "الطور الأوديبي"، ويلعب بقضيبه عبثًا، تصحبه أخيلة أن يزاول نوعًا من النشاط الجنسي ذا صلة بأمه.."[2].

---

(1) نفس المرجع.

(2) الموجز في التحليل النفسي، فرويد ص٣٨ ومعالم التحليل النفسي، فرويد ص٥٨.

وهذا التحليل الأوديبي لنظرية الجنس عند فرويد انسحب - عنده - على الدين أيضًا، فهو يرى - حسب تفسيره للدين - أنَّ أصلَ الدين هو الشعور بالندم الذي استولى على أبناء الأسرة البشرية البدائية الأولى حين قتلوا أباهم، لكن السؤال الذي حاول الإجابة عليه فرويد هو: لماذا قتلوه؟

الجواب الفرويدي عن هذا السؤال في غاية الوضاعة، وهو: لأنه كان يَحُولُ بينهم وبين اللقاء الجنسي مع الأم، وذلك لأنهم رأوه حائلا أمام رغبتهم الجنسية بأمهم حواء فقتلوه، ثم حزنوا وندموا على ذلك حتى قدسوه ثم عبدوه، ومِنْ إكرامهم له بعد موته أعرضوا عن ممارسة الجنس بأمهم إكراما له، وهذا أول تحريم جنسي في البشرية، ولذلك يرى أنَّ ابتداءَ الدين في صورته الأولى عبادة الأب، ثم تطور إلى عبادة الطوطم، ثم تطور إلى عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وهي في الأطوار كلها ينبع من العقدة نفسها عقدة أوديب كما يصرح بذلك في كتابة اللذات والغرائز[1].

ويمكن القول بأن نظرية فرويد خرافات دمجها ببعض الطبائع الإنسانية، لا تمت في مجملها إلى الحقائق بصلة، فتشبث بالطبيعة البشرية فيما يتعلق بالجنس ليجعل منها حصان طروادة لكل نظرياته، فقد أتى ببعض الحقائق عن طَوْرِ الرغبة الجنسية في مراحل البلوغ للجنس البشري على أنها مرحلة من مراحل عقدة أوديب، مقدِّمًا لها ببعض الأكاذيب عن ولادة الجنس البشري، جاعلا كل الدوافع البشرية تنطلق من هذه العقدة المزعومة ليصل إلى الاعتقاد بأن الدين نفسه نتج عن هذه العقدة.

---

(1) انظر: الموجز في التحليل النفسي، سيغموند فرويد، ص٣٦.

سادسا: مذهب علم الاجتماع الإلحادي: ومن أبرز من يمثله:

إميل دوركايم Emile Durkheim (١٨٥٨ - ١٩١٧م):

يعد دوركايم أول مَنْ منهج النظرية القائلة بِـ(العقل الجَمْعِيّ)، والتي تقول بأن الإنسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أو قهر اجتماعي يفرضه عليه العقل الجمعي للقطيع البشري، ويستمد شواهده المؤيدة من عالم الحيوان ومجتمع الحيوان، وقد فَسَّرَ الظواهر الدينية وغيرها في الإنسان على ضوء قوانين اجتماعية قياسًا على تفسير الظواهر الطبيعية؛ فقد نفى دوركايم أن يكون الدين فطريا في الإنسان، وإنما هو من عمل العقل الجمعي ذي السطوة القاهرة على الأفراد، وهذا العقل دائم التغير والتطور والتشكل، ويرى أن الأصل الداعي إلى الدين شيء خارجي هو الأرواح أو القوى الطبيعية (التابو)، ويرى أنَّ الإنسانَ ابتدأ تدينه بالسحر والشعوذة، ثم تطور إلى عبادة آلهة متعددة، ثم تطور إلى التوحيد.

ولهذا فإنه يعرف "الدِّين" بأنه: مجموعة من العقائد أو المعتقدات التي يشترك فيها أفراد المجتمع، ويقسمه إلى قسمين: قسم قدسي عقدي متمثل في العناصر والقيم، وقسم عملي، ويتمثل في الطقوس التي يزاولها أفراد المجتمع.

والحتمية القطيعية التي دعا إليها دوركايم هي ما تعارف عليه الناس، وهي التي تحكم بين الناس، فليس هناك دينًا أو قيما أو أخلاقا سوى ما تعارف عليه الناس - في نظره -[1].

---

(1) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ٤٢ و٢٢٢.

سابعا: المذهب العلميّ[1] الاقتصاديّ الإلحاديّ: ومِنْ أبرز مَنْ يمثله:

كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨ - ١٨٨٣م):

من أهم النظريات الإلحاد النظرية التي وضعها ماركس ، بل هي حصان طروادة الذي ركبه كثير من فلاسفة عصر التنوير وما بعده، فكانت ثورته والإلحاد يسيران جنبا إلى جنب حسب رأي بعض الباحثين[2].

يقول برتراند رسل: "إن الماركسية هي الفلسفة الملائمة للدول الصناعية الحديثة، وهذا ما أظن أنه صادق وهامٌّ معًا"[3].

ونظرية ماركس هي حتمية المادة، حيث يقول: إن الذي يحكم الناس هو: "المصلحة المادية"، ولهذا يقول: "لا إله والحياة مادة"، والدين في نظره أفكار وقيم أنتجها العقل البشري خلال تطوره البشر الثقافي، ثم نسبوها إلى الآلهة[4].

ويقول ماركس: "الدين تأوّه ككائن أضناه البؤس، وهو فؤاد عالم لا فؤاد له، وروح عصر لا روح له، إنه أفيون الشعوب"[5].

وماركس يوضح في العبارة أن الغرض من الدين هو خلق حالة من

---

(1) يقول برتراند رسل: "ولم يكن ماركس ميَّالا للنزعة الرومانسية بل كان هدفه دائما أن يكون علميًّا" انظر: الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة ٣/ ٤٢٧.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 30.

(3) انظر: الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة ٣/ ٤٣٠.

(4) انظر: علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ص ٥٧٩ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٢٥١.

(5) انظر:

problems in materialism and culture, Raymond Williams, 1980, p103.

الخيالات الوهمية للفقراء، حيث يمنعهم الواقع الاقتصادي من إيجاد السعادة الحقيقية في هذه الحياة، لذلك فإن الدين يخبرهم أنه لا بأس بهذه الظروف الصعبة لأنهم سيجدون السعادة الحقيقية في الحياة الآخرة. وبالرغم من أن ذلك يمثل انتقادًا للدين فإن ماركس ليس مجردًا من التعاطف، فهو يرى أن الناس في كرب وأن الدين يوفر لهم التعزية والتسلية ويخفف عنهم، كما يتلقى الناس عقاقير مخدرة لتخفيف آلامهم الجسدية عند تعرضهم للجروح[1].

ومن الناحية الاقتصادية فهو يقرر أن العوامل الاقتصادية تتحكم في كل الأنماط والنظم الاجتماعية، مبديا مثالية المذهب الشيوعي[2]

ولم يَرُقْ لماركس النظام الرأسمالي في تلك المصانع الضخمة التي شاهدها أثناء نفيه إلى بريطانيا، بل رأى أن فيها تسلطا على العمال من قِبل أصحاب رؤوس الأموال، وإجحافا في حقهم، وفصلا مقيتا بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء؛ لذا اخترع المذهب الاقتصادي الشيوعي وفلسفة المادة الجدلية (وهي لست محل البحث هنا).

---

(1) انظر:

Marx and religion, Shagor, H. (2005) : A brief study. New York: Orbiss Books.

(2) انظر:

Oxford concise dictionary of Politics, IAIN Mclean and Alistair Mcmillan, 2003, p 341, Soxe Commins and Robert. N. Linscott, the political Philosophers, 1947, p 3,

والفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، برتراند رسل ٣/ ٤٣٠ والاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، أنجلس، ص ٣٨-٩٢ والموسوعة الفلسفية، جوناثان ري، وج أو أرمسون ص٢٨٦ ومشاهير الفلاسفة من طاليس إلى ديكارت، ديوجين لايرتيوس، ص٢٥٢ وعلم الاجتماع، أنتوني غدنز، ص ٦٩.

ثامنا: المذهب الوجودي: ومن أبرز من يمثله:

جان بول سارتر Jean Paul Sarter (١٩٠٥ - ١٩٨٠):

يعد جان بول سارتر من أبرز رواد الإلحاد في المذهب الوجودي، وقد ضمّن مذهبه في كتابه المشهور بعنوان "الوجودية مذهب إنساني"، وتحدث فيه عن الوجودية، ذاكرا أبرز مناحيها كالحرية وأن الإنسان حر في فعله واختياره، وكذلك تحدث عن قضية الوجودية الأولى، وهي أن الوجود مقدم على الماهية[1]، أي أن الإنسانَ لم تسبق ماهيته وجوده، فوجوده هو المقدَّم، وبعد ذلك هو مَن يكتشف ماهيته ويختارها.

وكان يرى أن الإنسان له المركزية العظمى في الوجود، ويستبعد فكرة الله، فيقول عن نفسه: "... لكن الوجودية الملحدة - والتي أمثلها أنا - تُعلن في وضوح وجلاء تامَّين أنه إذا لم يكن الله موجودًا فإنه يوجد على الأقل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتحدد معالمه، وهذا المخلوق هو الإنسان"[2].

وشعار الوجودية الأول: الإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه، ولذلك تقوقعت فلسفتها حول الإنسان فقط.

تاسعا: المذهب الوضعي الاجتماعي: ومن أبرز من يمثله:

أوجست كونت Auguste Xavier Comte (١٧٩٨ - ١٨٥٧م):

---

(1) انظر: الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص١١-١٢.

(2) الوجودية مذهب إنساني، جون بول سارتر، ص ١٤.

يعد أوجست كونت من أكبر المؤسسين للمذهب الوضعي الاجتماعي، وهو يقوم على تفسير الظواهر الإنسانية على مختلف أشكالها دينية أو غير دينية على ضَوء القوانين الاجتماعية.

وقد أُسّس هذا المذهب على "التفسير الوضعي" الذي يقوم على القانون، وليس على إلهٍ متعالٍ أو الإيمان بالميتافيزيقيا مما أصبح يعرف بـ "دين الإنسانية"، وقد تأثر به كثير من المثقفين في أنحاء المعمورة خصوصا في أمريكا اللاتينية، لا سيما البرازيل التي جعلت تعليمها وفقا لمبادئ أوجست كونت.

وكان كونت يرى - كسائر رواد المذهب الوضعي - أن جميع الظواهر خاضعة لقوانين ثابتة، وأنَّ غايتنا كشف هذه القوانين، ويرى عدم الحكم بغير التجربة والمنهج الرياضي، وأن كل مدلول في الطبيعة هو قابل للبحث، والحكم عليه بالصواب والخطأ، وأن العلم الطبيعي المادي ينبغي أن يحل محل اللاهوت.

وقد استبدل كونت بجميع الأديان دينا جديدا اسماه "الحضارة الإنسانية"، زاعما أن "الدِّينَ" إنما هو من مخلفات المرحلة البدائية والخُرافية، والتي تطورت الإنسانية منها إلى المرحلة الميتافيزيقية على يد فلاسفة اليونان، ثم تطورت منها إلى المرحلة الوضعية والعلمية على يد النهضة الأوربية.

ويرى أن "الدين الوضعي" هو الحل الأمثل لما توصلت إليه الحضارة الإنسانية، ولهذا فانه يقسم الحالات التي مرت بها البشرية إلى ثلاث حالات، هي:

* الحالة الأولى: المرحلة اللاهوتية، وهي قد مرت بثلاثة أدوار:

١ - الفيتيشية: وهي الاعتقاد في الظواهر الطبيعية، وهي ما تسمى بالطوطم.

٢ - التعددية: وهي مرحلة التعدد الإلهي، واستدل بما عند الإغريق وغيرهم من تعدد الآلهة.

٣ - التوحيد: وأعظم مثالٍ عنده هو النصرانية الكاثوليكية.

* الحالة الثانية: الحالة الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة)، وفيها يبحث الإنسان عن عِلل الأشياء، فيرجعها إلى الطبيعة، وهي المادة.

* الحالة الثالثة: الحالة العلمية أو الوضعية أو الواقعية: وهي حالة النضوج، وفيها انتقل الإنسان إلى الحالة العلمية والواقعية والوضعية، وابتدأ مرحلة الملاحظة والتجربة ووضع القوانين.

وعلى هذا فإن عبادة الطواطم والأصنام هي الاعتقادات الأولى التي عرفها الإنسان في نظر كونت، ولهذا يسمي هذه المرحلة بالمرحلة الصنمية[1].

وهكذا نتبين أن كل نظريات القرن الثامن والتاسع عشر تكاد تكون متفقة على اتخاذ النظام الوضعي الذي يحل محل الدين، واتخاذ الطبيعة التي تحل محل الإله، واتخاذ العقد الاجتماعي بدلا من شرائع الأديان، كل ذلك

---

(1) انظر:

The Fontana Dictionary Of modern thought 198, P.488. Encyclopeadia Britannica, Alan Bullock. Oliver Stally Brass,1974 v14, p 877-878.

ودراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ص ١٣٥ والموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون ص ٢٦٦.

بُغضًا لدين الكنيسة التي مارست باسم الدين أنواع التسلط على النصارى، وعندما حانت لهم الفرصة للانقلاب عليها لم يتوانَوا في الهروب منها ومن ربقتها هروبًا أبديًّا باسم النظريات الإلحادية.

وهناك بعض النظريات التي ظهرت فيما بعد القرن الثامن عشر والتاسع عشر هي في حقيقتها تطويرٌ للمذاهب التي أُنشئت قبلها[1]، ومن وجهة نظري أن أكثر المذاهب المتأخرة لما بعد القرن الثامن عشر كانت تهذيبًا لآراء فلاسفة الإلحاد قبلها، بالإضافة إلى أن هذه المذاهب المتأخرة جاءت بعد أن استحكمت عداوة الدِّين في نفوسهم وجُوهر برفض الدين وما يمت إليه، فنشأت خالية من كثير من الصراعات التي خاضها فلاسفة الإلحاد قبلهم.

---

(1) مثل مذهب سيتام ومل في المنفعة، هو في حقيقته تطوير وتهذيب لمذهب دولباخ فيرى تينام أن السعادة تقوم على أمرين، وهي أن كل فرد لا يرغب إلا في سعادته، وأن السعادة تتأتى بتحصيل اللذات واجتناب الآلام. انظر: المشكلات الأخلاقية والفلاسفة، ص٢٢٢ وعصر العقل، ستيوارت هامبشر، ص ١٨و Dialogues Concerning Natural religion by D. Hume. A Discourse on the Positive Spirit by A. Comte, Tr. S. Beesley. revers. London 1903 Ed. N. Kemp Smith O.V.P. Oxford -.1935. History of Philosophy by F.C. Copleston Burns. London 1947.
وأما جون ستيوارت مل فوافق دولباخ، لكنه أظهر أنَّ فكرة اللذات لا تختلف فقط في الكمية وإنما تختلف كذلك في الكيفية فلأن يكون المرء سقراط الساخط خيرًا له من أن يكون خنزيرًا راضيًا، وذلك لوجود لذات رقيقة وسامية، ووجود لذات غليظة وسوقية أيضا. انظر: المشكلات الأخلاقية والفلاسفة، ص ٢٢٤ وعصر العقل، ستيوارت هامبشر، ص ١٧.

المبحث السابع

أبرز نتائج النظريات الإلحادية الغربية

أولا: تحقيق أهداف اليهود:

نجحت أيادي اليهود الأخطبوطية نجاحًا باهرًا في استغلال ثورة النصارى على الكنيسة في ابتكار تلك الآراء الإلحادية والنظريات الفلسفية، فقد كان جُلّ رواد تلك النظريات من اليهود المتعصبين ضد جميع الأمم، وقد صرحت بذلك "برتوكولات حكماء صهيون" حيث جاء فيها: "لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أنَّ نجاحَ داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأمميّ سيكون واضحًا لنا على التأكيد"[1].

وقد تغلغل المال اليهودي في تقوية تلك الثورات، بل وفي إنشائها، مستغلين الغضب العارم المتأجج في نفوس الجماهير، ويظهر ذلك في منظمات الثورة الفرنسية المختلفة كالجمعية التأسيسية، ونادي اليعاقبة، وبلدية باريس، فنتج عن ذلك أن تبنّت تلك الجماهير شعار "الماسونية"،

---

(1) بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثاني.

وصرخت بها في كل ميادين الثورة، ونادت بها بكل بلاهة وسذاجة بـ "الحرية، والإخاء، والمساواة"، وقد صرح بذلك اليهود في "بروتوكولات حكماء صهيون"[1] حيث تقول البروتوكولات:

"تذكّروا الثورة الفرنسية التي نسميها "الكبرى"، إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدًا لأنها من صُنع أيدينا".

وتقول أيضا: "كذلك كنا قديمًا أول مَنْ صَاحَ في الناس "الحرية، والمساواة، والإخاء"، كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر".

وقد أعلن مجلس النواب الفرنسي هذه الحقيقة على الملأ عام ١٩٠٤م حينما طرح الدور الماسوني في صناعة الثورة الفرنسية، فقابل النواب الحاضرون هذا الإعلان بالقَبول[2].

ثانيا: مَقت الدِّين:

لقد رأى فلاسفة أوروبا - وتبعتهم على هذا جموع غفيرة ممن كانوا تحت ربقة الكنيسة - أَنَّ الدِّيْنَ لا يعدو أن يكون شبحًا مخيفًا، وعملاقًا نافقا، ونفقا مظلما، وأن أصحابه ذوو اعتقادات جوفاء، وأساطير خرقاء، ليس لها مستندات علمية، ولا حقائق عملية، ولهذا هجموا على الأديان هجمات شرسة أرادوا من خلالها إماتة كل الأديان؛ يقول أحدهم: "إن موقف علماء الأديان القديمة أشبه برجل يكتب شيكًا بلا رصيد في المصرِف، فهم قد

---

(1) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦، البروتوكولات: ١٠٣، ١١١.

(2) انظر: أحجار على رقعة الشِّطْرَنْج، وليام جاي كار، ص٩٠.

صاغوا عبارات لا تكمن وراءها حقائق علمية، فعبارة "الحقيقة العُليا غير المتغيرة" عبارة صحيحة نحويًا، لكنها أقرب شيء إلى شيكٍ بلا رصيد حقيقي"[1].

لقد رأى فلاسفة أوروبا أن الدِّينَ وباءٌ آسن يجب التخلص منه بأسرع وقت، ولهذا كان هجومهم على الدين والكنيسة هجومًا ضاريًا وحربًا بلا هوادة؛ يقول جان جاك روسو: "إنَّ الدينَ الحقَّ هو أن أفعل ما يجب عليَّ فعله، ولكن ماذا فعلوا بالدين؟ لقد جعلوا منه تعاليم لا صلة لها بحياة الناس، لقد أضافوا إلى الأسرار العويصة المحيطة بنا تناقضات غير معقولة..."[2].

ويقول فولتير: "إن الطائفة المسيحية لم تفعل سوى الشر منذ سبعة عشر قرنًا"[3].

ونتيجة لهذا فقد اعتقدوا أن الدين هو من إنتاج البشر نتيجة لتأثره بمؤثرات مختلفة، وأصبحت تعريفات "الدين" عندهم لا تخرج عن تعريفات أي علم يتطور مبنيّ على التجارب والآراء المثالية أو غير المثالية، ويظهر ذلك في تعريفاتهم للدين والعقيدة، مثل "برجسون" الذي قسَّم الدين إلى نوعين، هما الدين الديناميكي، والدين الاستاتيكي، أما الاستاتيكي فلا يخرج تعريفه عنده عن نشأته من قِبَل الطبيعة، وأما الديناميكي فهو الدين المتطور الذي نشأ عن إنسان من صفوة البشر سَمَا إلى فكرةٍ مثاليةٍ حاول

---

(1) انظر:

T. R. Miles, religion and Scientific Qutlook, p 20,

نقلا عن: الدين في مواجهة العلم، ص ١٠.

(2) فلسفة الثورة الفرنسية، برنار غوروتويزن، ص ١٠٤.

(3) نفس المرجع ص ٦٧.

تطبيقها على الإنسانية كلها كالمسيح مثلا[1]، أو لأنه فنٌّ يصل إلى اعتقاده الإنسان كأي فن من الفنون، ويسمونه فنا عقليًا "Intellectual Art"[2].

أو كما يعرفه سبنسر: الذي يرى أن الدين هو الشعور بأننا نسبح في خضم من الأسرار أو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار[3].

أو كما يعرفه ماكس مولر الذي يرى أن الدين هو الشعور باللانهائي، أو الإحساس باللانهائي[4].

ويعرف سالومون ريناك في كتابه "التاريخ العام للديانات" الدين بأنه: مجموعة التورعات التي تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا[5].

وهذه التعريفات خلاف المعنى الأصلي لكلمة الدين في اللغة اللاتينية كما تقول "دائرة المعارف الفلسفية الألمانية"، فكلمة (الدين) والتي يُطلق عليها في الإنجليزية Religion اشتُقَّت من اللاتينية religio، وكانت تعني دومًا ما يضاد الخُرافة[6].

---

(1) انظر: نشأة الدين، النظريات التطورية والمؤلهة، د/ علي سالم النشار، ص٢٢.

(2) الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ص٩٥ وص ١١٣.

(3) مبادئ علم الاجتماع الديني، روجيه باستيد، ص ٢٣.

(4) نفس المرجع ص ٢٣.

(5) انظر:

Salomoon Reinack –Histoire general des religion paris 1909, p 4

(6) انظر:

Kippenberg Religion, Religions philosophie'' in Enzyklopidie m, Philosophie In. drei Bindenherausgegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg ; Felix MeinerVerlag, 2010) Band) 3,s. 2297- 2306

(الموسوعة الفلسفية الألمانية) ترجمه من الألمانية إلى العربية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/

ثالثا: تقديس العقل:

بمقابل تقديس العقل أصبح الدين - في نظرهم - هو الوجه المضاد للعقل، وأصبحت مظاهر الاستهزاء بالدين من المظاهر المألوفة، حتى وصل الحد إلى داخل جدران الكنيسة، فقد تجرأ بعض الفنانين والموسيقيين على وضع امرأة شبه عارية، على كرسيّ داخل الكنيسة، ثم سجدوا لها، بعد أن طردوا منها القساوسة والرهبان[1].

ثم سعوا في عقلنة معتقدات الكنيسة ومراجعتها في ضوء العلم الحديث، واعتقدوا أن العقل البشري قادر على فهم معطيات الكون وتسخيره في صالحه دون الحاجة إلى التفسيرات الدينية واللاهوتية لفهم الكون.

رابعا: صياغة دساتير جديدة:

نجحت تلك الثورات الفلسفية نجاحا باهرا في شتى المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل وصل الأمر إلى أن نجحت في إقامة ثورات عملية جردت فيها السيوف على ما تبقى من الدين ورجاله، فعندما قامت الثورة الفرنسية غيرت معالم الدستور الفرنسي، بل واختلقت دستورا جديدا لم تعرفه فرنسا ولا أوروبا بأسرها، ذلك الدستور الذي اعتمد فيما بعد كوثيقة لحقوق الإنسان العالمي[2].

٢٠١٧م، ص٣.

(1) انظر:الثورة الفرنسية، حسن جلال، ص٢٠٢.

(2) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول، ص ٥٦٤ ولمحات من تاريخ العالم، جواهر لال نهرو، ص٧٥-٨٣.

خامسا: اعتبار العَلْمَانِيّة دينا ومذهبا:

كانت النتيجة الطبيعية لقيام الثورة على آراء الفلاسفة الملاحدة وغيرهم هو بغض الدين ورجاله، بل شنوا حملة شعواء على كل ما يتعلق بالدين، فقد أُعلن في عام ١٧٩٤م أن فرنسا دولة علمانية، ليس لها دين رسمي، رغم أن أغلبية الشعب كانوا على المذهب الكاثوليكي.

وتحامل قادة الثورة على الكنيسة ورجالها، فجردت الكنيسة من كثير من الحقوق التي عليها والتي لها أيضا، فجردت من ممتلكاتها باعتبارها موارد للدولة، وألغي نظام العشور، وأغلقت غالب الكنائس أو أهملت، وتركت النفقة عليها، وقطعت الصلة بين كنائس فرنسا والكنيسة البابوية باعتبارها كنائس قومية، وأصبح تعيين القساوسة يتم بالانتخاب الشعبي بدلا من تعيينات البابا، وأُلزم رجال الدين بالقَسَم على دستور الدولة العَلْمَانِيّ، ومنع عامة الناس من اللباس الديني، وقصره على رجال الدين، وتم الفصل الكامل بين الدولة والدين في فرنسا عام ١٩٠٥م[1].

وظهرت أقوال الفلاسفة وانتشرت والتي تدعو إلى فصل الدين عن الحياة، مثل أقوال سيبينوزا حيث يقول في "رسالة في اللاهوت والسياسة": "... ومن الخطورة على الدين وعلى الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أيا كانت أو التدخل في شؤون الدولة"[2].

---

(1) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول، ص ١٩٤-١٩٥.

(2) ص:٤٢٦.

وانتشرت أقوال الفلاسفة التي تمقت الدِّين كقول فولتير: "إن دينَ أهل الفكر دينٌ رائعٌ خالٍ من الخرافات والأساطير المتناقضة، وخال من العقائد المهينة للعقل والطبيعة ...، أما الدين المصطنع فإنه يشجع على جميع مظاهر القسوة"[1].

---

(1) سلسلة تراث الإنسانية، مقتطفات من القاموس الفلسفي لفولتير، مجموعة مؤلفين ٨/ ٢٠٧.

الفصل الثاني:

تاريخ نشأة الإلحاد في المجتمع المسلم، وأسبابه، ومظاهره، وسبل مواجهته

المبحث الأول

تاريخ نشأة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

يتركز الكلام عند الحديث عن الإلحاد في التاريخ الإسلامي عن أولئك الفلاسفة الذين وقفوا موقف الاعتراض من مفهوم النبوة والأنبياء - سواء أكان ذلك الاعتراض على المفهوم الكلي أو بعض الأجزاء من المفهوم الشامل لعقيدة الأنبياء لدى المسلمين - إلى جانب أصحاب تأويل النصوص القطعية الدينية إلى معانٍ باطنية لا تمتُّ إلى معانيها الحقيقية بأدنى صلة، وقد سبق الكلام عن تعريف "الإلحاد" من حيث تعريف أصل فكرته ومعناه، ولكن يمكننا أن نُجريَ مقارنة سريعة بين الإلحاد في التاريخ الإسلامي وبين الإلحاد في الأمم الأخرى فنقول:

إذا ما أردنا المقارنة بين ملاحدة الأمم الأخرى والذين ينكرون وجود الألوهية فإنه يقابلهم في المقابل ملاحدة الإسلام والذين ينكرون مفهوم النبوة، أو مفهوم الأنبياء، أو تأويل نصوصهم إلى معانٍ يخرج معناها عن الحقيقة.

ولهذا لا يوجد بين ملاحدة الرعيل الأول لملاحدة المسلمين كفِرقة أو مذهب منظَّم ينكر مفهوم الله أو مفهوم الإله كملاحدة الأمم الأخرى، لكنهم

قابلوا هذا المفهوم بإنكار مفهوم "النبوة".

يقول عبدالرحمن بدوي: "إذا كان الإلحاد الغربي ذلك الذي عبر عنه نيتشه بقوله "لقد مات الله"، وإذا كان الإلحاد اليوناني هو الذي يقول: "إن الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت"؛ فالإلحاد العربي هو الذي يقول: "لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء""[1].

ويمكن إلقاء الضوء على نشأة الإلحاد في التاريخ الإسلامي، وذلك فيما يلي:

أ. المعترضون على مفهوم النبوة والأنبياء أو إنكار بعض مفاهيمها:

ظهر مبتدأ فكرة الإلحاد في الإسلام في جناب صدقية الوحي النبوي، مع أن الوحي كما هو معلوم هو مصدر الكتاب والسنة، وهذا التشكيك نجده غالبا عند المتكلمين.

فيرى النَّظَّامُ المعتزلي أن الأخبار المتواترة لا حجة فيها، لأنه يجوز أن يكون وقوعها كذب، ورد الإِجْمَاع والقياس، وذهب جماعة من العلماء إلى أن النظام كان في الباطن على مذهب البراهمة الذين ينكرون النبوة، وأنه لم يُظهر ذلك خوفا من السيف[2]، وورد عن عَمرو بن عُبَيْد أنه كان يحك آية من المصحف[3].

وتبعا لذلك فقد أنكروا مفاهيم الكتاب والسنة في صفات الألوهية، وقد نتج عن هذا الشك نفيها بالكلية، كما هو حال المعتزلة، ثم نفوا تبعا لذلك

---

(1) من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، ص٩.

(2) انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٦/ ١٥.

(3) انظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٢٧٣.

قدرة الله، وألصقوا العجز برب العالمين، وأنه لا يقدر على فِعل الظلم، ولا يقدر أن يتخذ ولدًا، ولا يقدر على قلب الأعيان"[1].

وقد ذهب المعتزلة مذهب فلاسفة اليونان فيما يختص بالعقل، فقالوا بأن العقل قادر على التمييز بين الخير وبين الشر بنحو استقلالي، وهذا قادهم إلى عدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرًا يقرُّه العقل، ويستقل به قبل الدليل النقلي"[2].

كل هذه مؤشرات أولية سبقت معتركات الإلحاد في تاريخ الإسلام، مع أن هذه المؤشرات لا تعد إلحادًا بذاتها بالمعنى المختار هنا للإلحاد، غير أنها تمهد طريق الجرأة على الثوابت الدينية أو يمكن تسميتها بالإلحاد النسبي.

ثم ظهرت شذرات متفرقة كانت أكثر جرأة على الإلحاد، فتعدت مفهوم الطعن في الأخبار إلى الطعن في الذوات، ومن أبرز أعلام هذا الميدان الملحد المعروف بابن الراوَنْدِيّ، وقد ابتدأ الذهبي ترجمته بقوله: "أحمد بن يحيى بن إسحاق الرّاونديّ الملحد"[3].

وابتدأ ترجمته ابن كثير بقوله: "الزنديق، وهو أحمد بن يحيى بن إِسحاق أبو الحسين ابن الراوندي"[4].

وقد ترجم له ابن الجوزي فقال: "أَحْمَد بن يحيى بن إسحاق، أَبُو

---

(1) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل، ٣/ ١٢٨-١٢٩ و١٤٩.

(2) الاتجاهات الفلسفية، رحيم موسوي، ص٧١.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٢/ ٨٤.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/ ٣٤٦.

الحسين الرَّاوندي الملحد الزنديق"[1]، ثم قال: "... وإنما ذكرته ليُعْرَفَ قدر كفره، فإنه معتمد الملاحدة والزنادقة".

وكان مما يُعترض به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اعتراضات كثيرة منها: أن الملائكة الذين أنزلهم الله تعالى في يوم بدر لنُصرة النبي مفلولو الشوكة، قليلو البطشة، على كثرة عددهم، واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين، فلم يقدروا أن يقتلوا زيادةً على سبعين رجلاً، وأين كانت الملائكة في يوم أُحُد لما توارى النبي بين القتلى فزعًا، ولم ينصروه في ذلك المقام؟[2]

وقد ألف ابن الراوندي كتبًا في الرد على الإسلام وإنكار شرائعه وإنكار، منها "نعت الحكمة"، و"قضيب الذهب"، و"الزمردة" للحط من شأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يطعن في القرآن، ويقول بأن الأنبياء جاءوا بطلسمات، وصحح مذهب الدهرية، وقد نقل ابن الجوزي بعض كلامه الكفري، وعلل ذلك بقوله: "آثرتُ أن أذكر منها طرفًا ليُعرف مكان هذا الملحد من الكُفر، ويُستعاذ بالله سبحانه من الخذلان" - وأنا مستن بما علل به ابن الجوزي ذكر أقواله، وهذه بعض أقواله -:

قوله عن الخالق تعالى: "مَنْ ليس عنده من الدواء إلا القتل فِعل العدو الحنق الغضوب، فما حاجته إلى كتاب ورسول؟"، وقد علق ابن الجوزي بقوله: "وهذا قول جاهل بالله سبحانه لأنه لا يوصف بالحنق ولا بالحاجة وما عاقب حتى أنذر".

---

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١٣/ ١٠٨.

(2) انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٢/ ٢٤٠ والفهرست، ابن النديم، ص ٢١٦ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١٣/ ١٠٨.

وينقل عنه ابن الجوزي فيقول: "وقال لعنه الله ووجدناه يزعم أنه يعلم الغيب، فيقول: وما تسقط من ورقة إِلَا يعلَمها ثم يقول: وما جعلنا القبلة الَّتِي كنت عليها إلَا لنعلم، وهذا جهل.."، ونقل كلاما كثيرا عنه[1].

والملاحظ أن ابن الراوندي وأشباهه من الملاحدة في التاريخ الإسلامي مع ما بلغوا فيه من الإلحاد وتجرؤوا على مفهوم النبوة وجناب الألوهية إلا أنهم لم ينفوا وجود الخالق تعالى.

ب- القائلون بالتأويل الباطني للنصوص الدينية:

هناك من سار على نفس النهج الأول في إلحاده وزندقته، غير أنه قنن هذا الإلحاد، وجعله مذهبا معتبرا يقوم على أسس وقواعد، وله أتباع وأنصار، وهو المذهب الباطني، وهو لقب أُطلق على مجموعة من الفرق التي ادّعت أن للإسلام ظاهرًا وباطنًا وأن لكل تنزيل تأويلاً، وبالغت في التأويل حتى جعلته هو الأصل والقاعدة.

لقد شطّ أصحاب هذا الاتجاه كل الشطط، فما كان يمقت في المذاهب الكلامية الفلسفية عند أهل النظر أصبح - بالمقارنة مع أهل الباطن - أخف الضررين، وأصغر الخطيئتين؛ فقد جاء في كتاب "أساس التأويل"، وهو من أهم الكتب الباطنية لقاضي قضاة الدولة الفاطمية النعمان بن حيون التميمي (ت ٣٦٣هـ) حيث يعد هذا الكتاب كما يقول محققه: "الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذي يعالج موضوعًا معينا هو

---

(1) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء الملك المؤيد ٢/ ٦١. وانظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص ١٠٠.

التأويل"[1].

يقول القاضي النعمان: "إنه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به"[2].

ويعرِّف أبو حامد الغزالي الباطنية بقوله: "أما الباطنية فإنما لُقِّبُوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللُّبّ من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جليّة، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة"[3].

وقد فصّل أحد علماء الإسماعيلية - وهو حميد الكرماني - مرادهم بالباطن والظاهر فيقول: "ونحن إذا قلنا "الظاهر" فمرادنا فيه الأعمال المفروضة في الشرع على ما تنقسم إليه من الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج... وجميع الأعمال والمناسك في الشرع.."[4].

وبناء على هذا الاعتقاد ألحدوا في جناب نبوات الأنبياء عليهم السلام، حيث زعموا أن النبوة مكتسبة، وتحصل بالرياضة، والجهد، والتطهير، وتزكية الإمام،.. ونحوها، ويرون أن النبي هو في حقيقته مبلِّغ للتنزيل فقط دون علمه بالتأويل[5].

---

(1) مقدمة المحقق لكتاب أساس التأويل، القاضي النعمان بن حيون التميمي ص ٥.

(2) أساس التأويل، القاضي النعمان بن حيون التميمي، ص ٢٨.

(3) فضائح الباطنية، الغزالي، ص ١١ وص ٧٥، وانظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ١٩٤.

(4) في مطلع الرسالة، ترجمة المحقق عارف تامر، ص ٩ وراحة العقل، أحمد حميد الكرماني، ص ١٢٧-١٢٩.

(5) راحة العقل، أحمد حميد الكرماني، ص ١٠١ و١٢٧-١٢٩ وديوان المؤيد في الدين داعي

ونـتج عـن إلحـادهم في جنـاب الأنبيـاء إنكـار البعـث، واليـوم الآخـر، وأنكروا الوحي للأنبياء والرسل والملائكة[1]، وبهذا يتبين أن الباطنية كانت هي العتبة التي ساهمت في إدخال مفهوم الإلحاد في المفهوم الإسلامي بهذه التأويلات التي تمحي معالم الدين بالكلية.

ج - الشعوبية:

مـن أبـرز الحركـات التـي سـاهمت في نـشر الفكـر الإلحـادي "الحركـة الـشعوبية"، تلـك الحركـة التـي مجـدت كـل مـا يتعلـق بـالعجم، وأرادت أن تفصل العرب عن العجم، بل وعادت العرب معاداة جعلتها تخترع كثيـرا مـن الأفكار في معاداة العرب بل ودين العرب[2]، إلى جانب ظهور الزندقة[3]، وهذه

الدعاة، ص ١٠٢.

(1) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، مصطفى غالب ص ٣٥٩ وفضائح الباطنية، الغزالي، ص ٤٤-٤٥.

(2) انظر: من تاريخ الإلحاد، عبدالرحمن بدوي، ص ٣٦.

(3) الزنديق، بالكسر: مِن الثَّنَوِيَّة أو القائل بالنور والظُّلْمَة أو مَن لا يؤمن بـالآخرة وبالربوبيـة، أو مَنْ يُبطن الكُفْرَ ويُظهـر الإيمـان أو هـو معـرَّب: "زنـدين"، أي: ديـن المرأة، ج: زنادقة أو زنـاديق، وقـد تزنـدق، والاسـم "الزندقـة"، ورجـل زنـديق وزنـدقي: شـديد البخـل. انظر: القاموس المحيط، ص ٨٩١.

وقال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: قوله بزنادقة، بـزاي ونـون وقـاف، جمـع زنـديق بكسـر أوله وسكون ثانيه. قال أبو حاتم السِّجِسْتَانِيِ وغيره: الزنديق فارسي معرب، أصله: "زنـده كرد"، أي: يقول بدوام الدهر.

وأصل "الزنادقة" أتباع ديـصان ثـم مـاني ثـم مَزْدَك. وحاصـل مقـالتهم أن النـور والظلمـة قديمان، وبقيت منـهم بقايـا، وأظهـر جماعـة مـنهم الإسـلام خـشية القتـل، ومـن ثَـمَّ أُطلـق الاسـم على كـل مَـنْ أَسَـرَّ الكفـر وأظهـر الإسـلام، حتـى قـال مالـك وجماعـة مـن فقهـاء الشافعية: الزندقة ما كان عليه المنـافقون، ومـن الزنادقـة الباطنيـة. انظـر: فـتح البـاري، ابـن

الفكرة الإلحادية وإن كانت لا تنطبق على جميع الأخلاط التي اعتنقت الفكر الشعوبي، إلا أنه لا يمكن أن نغفل الجانب العدائي من قبل مؤسسيها لكل ما يمت للعرب ودينهم، ويرى بعض الباحثين أن حركة الزندقة كلها أو معظمها ترجع إلى حركة الشعوبية أو بينهما صلة قوية وثيقة على أقل تقدير[1].

حجر العسقلاني، ١٢/ ٢٧١.

(1) من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبدالرحمن بدوي، ص٣٥.

المبحث الثاني

بوادر ظهور الإلحاد المعاصر في المجتمعات الإسلامية في العصور المتأخرة

لقد وقع بعض أبناء الإسلام في وحل النظريات الإلحادية مع تعدد أسبابهم وتنوع أفكارهم، إلا أنهم - والحمد لله - قليل، لكن هذا القليل جرحٌ غائر في كبد المجتمع المسلم، وهو يرى تلك الفَلَذَات تقع في ذلك المستنقع الفتاك، والذي حفره لهم أعداؤهم وزينوه في قلبوهم، فانقلبوا على ثوابت الأمة وعلى معتقداتها وأسسها وقواعدها، ناقمين على كل شيء.

إن تأثر بعض أبناء المسلمين بالنظريات الإلحادية قد بدأ منذ النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، وهو ما حذر منه الغيورون على الإسلام والمسلمين، ومن أبرز أولئك العلماء آنذاك الشيخ نديم الجسر الذي فاجأ العالم الإسلامي ببحث ألقاه في مجمع البحوث الإسلامية في عام ١٩٦٥م، حيث يقول في ذلك المؤتمر: (إننا أمام ظاهرة اجتماعية خطرة، - يشكو منها العالم الإسلامي بأسره - وهي أن أكثر شبابنا المثقف بالثقافة العلمية، هم أقرب إلى الإلحاد، وأن القلة المؤمنة منهم أميل إلى إهمال العبادات

والشعائر)[1].

ويقول الدكتور محمد غلاب، - وهو من أهل تلك الحقبة - عن الإلحاد: (... وهاتيك الزوابع الإلحادية التي هبت علينا في الحقبة الراهنة من الغرب، بصورة تكاد تجتاح عقول شبابنا وقلوبهم، إذ يعلن أربابها من غير خجل ولا حياء - بل في فجور ومجون - أن العالم المحس هو وحده الموجود، وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال، وأن ما لا يكون موضوعا للعلم التجريبي فهو ضرب من الأخيلة والأحلام...)[2].

وفيما يلي سوف نلقي الضوء على أبرز أسباب انتشار النظريات الإلحادية في المجتمع المسلم، وسبل مواجهتها وعلاجها، وذلك فيما يلي:

---

(1) كتاب مجمع البحوث الإسلامية، المؤتمر الثاني، مايو ١٩٦٥م، ص ٢٣٨.

(2) المعرفة عند مفكري المسلمين، الدكتور محمد غلاب، ص ٧٨.

المبحث الثالث

أسباب انتشار النظريات الإلحادية الحديثة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى انتشار النظريات الإلحادية الحديثة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، يمكن ذكر أبرزها فيما يلي:

١ - جهل المسلمين بحقيقة دينهم:

الجهل هو العدو اللدود للحق والحقيقة، وهو الآفة التي ما انتشرت في أمة إلا عصفت بها، ولا ظهرت في جماعة إلا فرقتها ومزقتها، ولا ظهرت عند أهل ملة إلا حرفتها وبدلتها.

وهذا في الحقيقة من الأسباب المهمة إذ إن كثيرا من الذين انتسبوا إلى الإلحاد هم في حقيقتهم ممن عم الجهل عليهم وطم، وقد صدق الله - ومن أصدق من الله قيلا - {إنما يخشى الله من عباده العلماء}[1]

وهذا السبب في حقيقته يمكن أن يعد سببا عالميا حتى في الأوساط

---

(1) سورة فاطر، آية ٢٨.

الغربية، فقد ذكر "دليل كامبردج للإلحاد" أن كثيرا من الملحدين "قد نشؤوا دون أي تعليم ديني، في حين أن الآخرين اختاروا أن يرفضوا ما قد تعلموه وهم صغار، وفقا لأحداث شخصية"(1).

إن الحقيقة المرة هي أن بعض المسلمين يقع طعما سهلا وصيدا ثمينا لأصحاب الدعوات الإلحادية والأفكار الضالة والعقائد المزيفة، وذلك بعد أن جهل بعض المسلمين حقيقة دينهم، فمعرفة المسلم لدينه هي الدرع الواقي والسلاح الكافي لرد عدوان المعتدين من سُرَّاق العقائد والأفكار، إذ إن الجاهل في أغلب الأحوال يتبع كل ناعق، ويردد وراء كل صدى، ويلتقط كل ساقط، ويحسب كل ماء سرابًا، وكُلَّ دخان ضباب، ولذلك حَذَّرَ اللهُ نبيه أن يكون من الجاهلين فقال: {إني أَعِظُكَ أن تكونَ من الجاهلين}(2)، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم العلم فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)(3).

٢- عدم تأهيل طلاب العلم الشرعي تأهيلا علميا رصينا:

إن من الواجب على القائمين على صروح العلم ومناهل المعرفة أن يهتموا بهذه الأمانة الملقاة على عواتقهم، وهي تنشئة فلذات أكباد المسلمين، مدججين بالمعارف والعلوم الشرعية التي تُعينهم في أمور الدنيا والدين، وتدريس تلك النظريات والفلسفات والفرق والعقائد المخالفة، حتى يتسنى

---

(1) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 302.

(2) سورة هود، آية: ٤٦.

(3) أخرجه مسلم، برقم (٣٦٤١).

لهم الذب والدفاع عن عقيدتهم وأمتهم، فبهم تتعلق آمال العوام، وإليهم تشرئب أعناق العامة، فمَن لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٣- الانبهار بالحضارة المادية والعلمية الغربية:

إن بعض المنتمين إلى الثقافة جعلوا عماد ثقافتهم الاعتماد على ما قرره ملاحدة الغرب الماديين، فأنكروا المغيبات، وأبطلوا بعض العقائد التي لا تتوافق مع عقولهم؛ يقول الدكتور كامل عيادة: "إن طريقة البحث العلمي جعلتنا لا نتقيد إلا بالواقع الذي تدركه الحواس وأن نتحرر من العقائد الغيبية"[1].

ومنشأ غلط هؤلاء أنهم لم يعلموا من التاريخ إلا التاريخ الأوربي، ولو علموا التاريخ الإسلامي لتمنوا أن يرجع إلينا بعزة الإسلام وشموخ المسلمين، فهو مفخرة في جبين العالم إلى أن تورث الأرض ومن عليها.

ولهذا كان على أولئك أن يتسلحوا بمعرفة الثقافة الإسلامية وتاريخها، ويقفوا على مناهل العلم الشرعي قبل ورود المصادر الأخرى.

٤- عدم الوثوق بشرائع الإسلام أو الشك فيها:

وذلك إما جهلا بها أو عنادا ومكابرة لما جاء فيها، أو إرادة مواكبة موجة الإلحاد العالمي، وذلك جنحوا إلى الطعن في مصادر الإسلام وشرائعه؛ فقد جنح بعض المتأثرين بالنظريات الغربية إلى أمرٍ أوقعهم في شر أعمالهم يوم يلاقون الله، وذلك بالطعن في أسس المصادر الإسلامية، فقد رأوا أن طعنهم

---

(1) العالم العربي، الدكتور كامل عياد، ص: ١٦٤، نقلا عن مشكلات الجيل في ضوء الإسلام، محمد المجذوب، ص ٢٥.

في مصادر المسلمين وعدم احترام مشاعرهم أمر يبرز مدى التقدم الحضاري، وكأنهم أرادوا مجاراة الغرب في نقدهم للدين المسيحي، وذلك لجهلهم بتاريخ الديانتين.

ومن أبرز أولئك طه حسين فقد ملأ كتبه بالترهات والأكاذيب والطعن في الإسلام وأهله، وما كتابه "الشعر الجاهلي" و"على هامش السيرة" الذي طعن في القرآن، وزعم أن مصدره من أمية بن أبي الصلت، أو اليهود والنصارى، وطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة إلا خير شاهد على إلحاده وفكره الذي استقاه من أساتذته المستشرقين الغربيين.

وهذا ما سار عليه كثير من الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام فهذا معروف الرُّصَافِيّ الذي ألف كتاب "الشخصية المحمدية" وهو في الحقيقة مليء بالإلحاد والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويكفي أنه بدأه باسم "الحقيقة" وليس باسم الله، ثم صلى وسلم على "الحقيقة"! وليس على محمد صلى الله عليه وسلم حينما قال: "باسم الحقيقة المطلقة اللانهائية، الحمد لها والصلاة والسلام منها علينا.."[1].

ومنهم من كال حقده على الإسلام إلى بالطعن على نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، ونفي ما جاءه من الوحي بطريقته الإلحادية؛ فيقول سيد أمير علي: "وقد رأى العقل المرهق لدى محمد هذا صورة أطياف نورانية هي الوسيط بين الله في السماء وبين الإنسان في الأرض"[2].

ومن هؤلاء الملاحدة مَنْ أراد أن يعمِّي على باطله بدس السم الزُّعَاف

(1) الشخصية المحمدية، معروف الرصافي، ص ١٥.

(2) روح الإسلام، سيد أمير علي، ص ٢٩.

بالعسل الصافي فيذكر مثلا عُظماء العالم؛ فالأستاذ خالد محمد خالد في كتابه "أفكار في القمة" يجعل من الشخصيات الوثنية عمالقة العالم، ويدرجهم مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كبوذا وكنفوشيوس ومنشيس، ثم يصفهم كلهم بأنهم: " يهدون سواء السبيل"![1]

ومنهم من كال أنواع الطعن والهمز واللمز بنقلة الإسلام، وهم الصحابة رضي الله عنهم، بل صرح بعضهم بأنهم تظاهروا بالإسلام "ليفسدوا الشريعة الإسلامية"[2].

ومن أبرز من يمثل هذا الاتجاه قاسم أمين الذي انتقد بعض شعائر الإسلام كالميراث وغيره[3].

بل أعجب من ذلك حينما ردد بعضهم ما يقوله عُتاة النصارى من أن الإسلام مقتبسٌ من الديانات الوثنية؛ فيقول طه حسين: "... وما رأيك في حياة عقلية العرب... تجد فيها أثر الإسلام وهو مركب غير بسيط، وتجد فيها أثر المسيحية، وفيها السامي واليوناني، وتجد فيها أثر المجوسية والفارسية، كما تجد فيها أثر الديانات الهندية على اختلافها، كما تجد فيها تيارات

---

(1) أفكار في القمة، خالد محمد خالد، ص ٨.

(2) هذا هو الإسلام، الدملوجي، ص: ٢٧، والفتنة الكبرى "عثمان "، طه حسين، في كثير من المواضع، انظر مثلا: ص ١٣٧ و٢٠١.

(3) يقول نصر حامد أبو زيد: (مسألة الميراث بشكل عام من المسائل الشائكة التي تحتاج إلى مراجعة هي مسألة شائكة لأن الاقتراب منها.. يثير كثيرًا من الزوابع ويعرض المجتهد لسيل من الاتهامات والتجريح)، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، ص ٣٠٠.

الحضارات المختلفة..."[1].

(1) مقدمة كتابة "فجر الإسلام".

المبحث الرابع

سُبُل مواجهة الإلحاد

هناك جملة من السبل التي يمكن أن تُعتبر درعًا واقيًا أمام سهام الإلحاد المسمومة، وهذه السبل هي في حقيقتها أمور مندوب إليها كل مسلم، وبالأخص من كان عُرضة لتلك النظريات والشبهات الإلحادية، ويمكن ذكر أبرزها فيما يلي (على سبيل الإيجاز والاقتصار، وهي بمثابة المفاتيح التي تفتح بها أفق مَن أراد الحق والثبات على الدين إن شاء الله):

أولا: الاطلاع على الإعجاز القرآني، ومطالعة الكتب الإسلامية التي تبين حقيقة الإسلام:

إن مطالعة الكتب التي تبين الإسلام وتوضحه تعتبر من أهم الأسس التي تحمي الفرد والمجتمع من آفة الإلحاد، وأعظم تلك الكتب وأولها وأولاها كتاب الله عز وجل - القرآن الكريم - فلو تدبر المتدبر ما تحويه نصوص القرآن من العِبَر لاستحقر المتأثر بالإلحاد ما استعظم، ولا استصغر ما استكبر.

يقول المفكر مصطفى محمود بعد رجوعه من الإلحاد إلى الإيمان: "لقد رفضتُ عبادةَ الله لأني استغرقتُ في عبادة نفسي، عجبتُ بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي"[1].

والآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بركائزه الأربع الأساسية (العقيدة، العبادة، الأخلاق، المعاملات) جاءت كلها بصيغ محكمة واضحة الدلالة، جلية المعنى، لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا، أما الآيات الكونية فجاءت بصياغة مجملة معجزة، يَفهم منها أهلُ كل عصر معنًى من المعاني يتناسب مع ما توافر لهم فيه من إلمامٍ بالكون وعلومه، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع دائرة المعرفة الإنسانية في تكاملٍ لا يعرف التضاد، حتى تبقى الآية القرآنية مهيمنة، وحتى تصدق نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم[2].

إن الإعجاز في آيات القرآن الكريم لا ينقضي ولا ينتهي، فهي صالحة لكل زمان ومكان كتأثيره في النفوس، وإعجازه بأسلوبه ونظمه، وإعجازه ببلاغته، والإخبار بحفظ القرآن الكريم من أيدي التحريف[3]، بالإضافة إلى الإعجاز العلمي.

وهذه الأمور لا تُدْرَكُ ولا تُعْرَفُ إلا بالتدبر والاطلاع على دقائق تفاسيرها؛ يقول ابن القيم رحمه الله: "... ورأس الأمر وعموده في ذلك إنما هو دوام التفكر، وتدبر آيات الله، حيث تستولي على الفكر، وتشغل القلب،

---

(1) رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود ص ٨.

(2) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الجزء الأول، الدكتور زغلول النجار، تقديم: أحمد فراج.

(3) انظر: الشفا، للقاضي عياض ١/ ٢٦٤.

فإذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر من قلبه، وجلس على كرسيه، وصار له التصرف، وصار هو الأمير المطاع أمره فحينئذ يستقيم له سيره، ويتضح له الطريق، وتراه ساكنا وهو يباري الريح: {وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شيء إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ} "[1].

ولعلنا هنا نقتصر على جانبٍ واحد من تلك المناحي الإعجازية، وهو جانب الإعجاز العلمي، فالحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث لمن أعظم براهين وجود الله، يقول الدكتور ألفن بلانتنجتا: "مِن المفارقات المؤلمة أن بعض رجال الدين في نهاية العصور الوسطى وقفوا في وجه العلم لأنه يهدد إيمانهم بالإله، وفي القرن العشرين يقاوم البعض ما توصل إليه العلم لأنه يمهد للإيمان بالله"[2].

ولعلي أُلقِي بعض الضوء على نوع واحد من إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز العلمي، وهو الذي يعتني بذكر الحقائق الكونية المذهلة التي لم تُكتشف إلا في العصر الحديث، وذلك بذكر بعض النماذج عليه فيما يلي:

١ - قول الله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[3]:

لما اهتدى علماء أوروبا إلى هذا ظنوا أنه مما لم يُسْبَقْ إليه من العلم، مع أنَّ بعضَ المطلعين منهم على القرآن قد صرحوا بسَبق العرب إليه؛ يقول

(1) الرسالة التبوكية، زاد المهاجر إلى ربه، ص ٦٢.

(2) هو Alvin Plantinga أستاذ الفلسفة الأمريكي الشهير بجامعة نوتردام، ولد عام ١٩٣٢م. انظر: خرافة الإلحاد، د/ عمر الشريف ص ١٩.

(3) سورة الحجر، آية: ٢٢.

مستر أجنيري - المستشرق، وقد كان أستاذًا للغة العربية في مدرسة أكسفورد [1] في القرن الماضي - : "إن أصحاب الإبل قد عرفوا أنَّ الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربة بثلاثة عشر قرنا"[2].

يقول الشيخ رشيد رضا: "... نعم، إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح، إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها، ولكنهم لم يكونوا يعرفون أنَّ الرياح تفعل ذلك"[3].

لقد جاء القرآن الكريم بهذا الاكتشاف العلمي الحديث منذ مئات السنين، وإذا قارنًا بما جاء به القرآن نجد أنه متطابق تمام التطابق مع هذا الاكتشاف الحديث، فبعد التقدم العلمي الهائل أصبح من المقرر عند علماء النبات أنَّ التلقيحَ عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور حيث تنتقل حبيبات اللقاح (Pollen Grain) من العناصر الذكرية للزهرة (Anthers) إلى العناصر الأنثوية فيها (Stigmas) حيث يتم الإخصاب.

والتلقيح يكون بعدة طُرُق كالحيوانات، والطيور، والمياه، والرياح، وهو أهمها، ولذلك جاء ذكره في الآية الكريمة، فللرياح دورٌ هامٌّ في عملية نقل اللقاح في النباتات التي تفتقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجاذبة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة، فعلى سبيل المثال: تنشر الرياح لقاح الصنوبر (Pine) على مسافة قد تصل إلى ٨٠٠ كيلو

---

(1) وهي إحدى المدن البريطانية، تبعد عن لندن ٩٠كم، وبها أعرق جامعة في العالم يعود تاريخها إلى ٨٠٠م. صفحة أكسفورد في ميوزك برينز" *MusicBrainz area ID...* .

(2) انظر: تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا١/ ١٧٥.

(3) نفس المرجع والصفحة.

متر قبل أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية، ويتم التلقيح من جملة النباتات التي تعتمد على التلقيح الريحي بشكل أساسي: الصنوبريات والقراص والحور والسنديان والقنّب والبندق[1].

أوَليست هذه الحقائق العلمية هي تأكيدات لما جاء في الآية الكريمة؟ فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم عالِمَ نبات ليصدر عنه مثل هذا القول وهو النبي الأمي؟ أم هل كانت عنده دراسات حول النباتات وهو قاطن الصحراء المجدبةً؟ أم هو وحي الله؟ وهو كذلك.

٢ - ومن الآيات قول الله تعالى: {أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي}[2]:

وهذا الاعجاز العلمي يعرف بنظرية "الانفجار الكوني العظيم" the big bang theory"، وهي من بين عشرات النظريات التي توصل إليها علماء الطبيعة في العصر الحديث، وكل تلك النظريات لا ترتقي إلا مرتبة القطع بصحتها عدا هذه النظرية التي رجحنا صحتها، وذلك لموافقتها لما جاء في نصوص القرآن الكريم عند الحديث عن خلق الكون ومنشئه ومبدأ هذا الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[3]؛ فانظر إلى الصياغة المصدرية الراقية في اسم الفاعل "لموسعون" التي تشير إلى اتساع الكون منذ نشأته واستمرارية هذا الاتساع إلى وقتنا الراهن إلى أن يشاء الله،

---

(1) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص ٢٥٢.

(2) سورةالأنبياء، آية: ٣٠.

(3) سورة الذاريات، آية: ٤٧.

هذا الاتساع دفع العلماء إلى القول بأننا إذا عُدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلا بد أن تلتقي مادة الكون في جرم واحد، وهذا الجرم تكون فيه الكثافة والطاقة عالية جدًّا تجعله في حالة حرجة، ثم ينفجر هذا الجرم بإذن الله، ويتحول إلى غلالة من الدخان، يخلق من هذا الدخان الأرض وباقي أجرام السماء، هذه "نظرية الانفجار الكوني العظيم"، ومما يدعم هذه النظرية اتساع الكون الآن، ومما يدعمها كذلك درجة الحرارة الثابتة على أطراف الجزء المدرَك من الكون، والتوزيع الحالي للعناصر المختلفة في صفحة الجزء المدرَك من الكون، وكذلك الدخان الكوني على أطراف هذا الجزء المدرك، وهو ما يدل عليه قول الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) حيث إنَّ الرَّتْقَ - في اللغة - ضد الفَتْق، فالرَّتْقُ هو الالتئام[1]، وهو وصفٌ دقيقٌ للحالة التي كان عليها الكون في الجُرم الابتدائي قبل عملية الفَتْق الذي هو عبارة عن الانتشار والانفصال.

ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى أنه استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين، والتعريف العلمي للدخان أنه: جسم أغلبه غاز، به بعض الجسيمات الصلبة، له شيء من السواد أو الدكنة، وله شيء من الحرارة، ولا يهمنا فهم كيفية جواب ذلك الدخان لرب العزة والجلال، فالله على كل شيء قدير، لكن الذي يهمنا هو إثبات أن تلك النظرية التي توصل إليها العلماء في العصر الحديث أثبتها الله تعالى في القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا[2].

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ١١٤.

(2) انظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الدكتور زغلول النجار، الجزء الأول،

وهنـاك الكثيـر مـن آيـات الإعجـاز العلمـي التـي توقـف المـرءَ مشدوها أمامها، والتي تُحيِي القلوبَ التي أنهكتهـا الحَيـرة، ورَانَ عليهـا الـوَهن، وتزيـد المؤمن إيمانا بربه وتصديقا لنبيه، تركتُها رغبة في الاختصار.

ثانيـا: مطالعـة الكتـب الإسـلامية التـي تَـرُدُّ علـى النظريـات والفلـسفات بخصوصها:

وهذا يُنصح به من تأثر بتلك النظريات والفلسفات الإلحادية، وذلـك أن علماء الإسلام بذلوا مُهَجَهُم للدفاع عن حَوزة الإسلام، وتبيين بطـلان عقائـد أهل الضلال والظلام، فقد ردّوا على معتقدات اليهود والنـصارى والفلاسـفة والملاحدة وغيرهم من صنوف أهل الضلال.

فالقراءة في كتب أهل العلم الراسخ المبني على مفـاهيم الكتـاب والـسنة يورث اليقين بإذن الله، والقراءة في كتب أهل الباطل من غير ترس منيع يـورث الإصابة بـسهام أهـل الباطـل، بـل حتـى ممـن يُنسب إلـى العلـم ويُعـرِض عـن مفاهيم الكتاب والـسنة هـو عُرضـة لـذلك، فمـا بالـك بغيـره؛ يقـول ابـن القيـم رحمه الله: "... فما أشدها من حَسرة وأعظمها من غبنة على مـن أفنـى أوقاتـه في طلـب العلـم ثـم يخـرج مـن الـدنيا ومـا فهـم حقـائق القـرآن، ولا باشـر قلبُـه أسراره ومعانيه، فالله المستعان"[1].

ثالثا: البُعد عن أصحاب الضلال المشككين في الثوابت الإسلامية:

وعدم الركـون إلـيهم، والجلـوس معهـم، إلا مـن قِبَـل أهـل العلـم بقـصد

ص: ٤١.

(1) بدائع الفوائد، ابن القيم، ١/ ١٩٤.

إرجاعهم إلى الحق إنْ كَتَبَ الله لهم الهداية، فصُحبتهم توجب التأثر بهم ممن لا باع له في العلم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "إن المشاركة في الهَدْي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوعَ تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك"[1].

رابعا: معرفة أن الأسباب التي أَدَّت إلى نشأة النظريات الإلحادية في الغرب ليست متوفرة في دين الإسلام:

لقد كان الغرب يمقت العلم وأهله، فقد كان المثقفون الغربيون من جهة ورجال الدين من جهة أخرى يرون أن هناك حرب فعلية قائمة بين الدين المسيحي وبين العلم بشتى طُرُقِهِ وصُوَرِهِ، وقد ألف الباحث الأمريكي أندرو ديكسون في منتصف القرن التاسع عشر كتابه "تاريخ الحرب بين العلم واللاهوت في العالم المسيحي" ملأه بتجسيد الواقع المؤلم والحرب القائمة بين الدين المسيحي - الذي يجسده رجال الكنيسة - وبين العلم التجريبي والنظري والمعرفي والواقعي، وعَدَّدَ كثيرًا من العلماء الذين كان مصيرهم تحت وطأة أقدام رجال الكنيسة بمجرد أن خطرت لهم أفكار علمية جديدة.

أما الإسلام فلم ينه عن أنواع العلوم، بل أمر بها، وحضَّ عليها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تَيْمِيَّة، ١/ ٤٤.

(2) سورة الزمر، آية: ٩.

فقياس التعاليم الإسلامية بغيرها من التعاليم التي تنهى عن العلم والتعلم فيه تسوية بين المختلِفَات، وهذا من أبطل الباطل.

خامسا: بث الوسطية الإسلامية المعتدلة الذامة للإفراط والتفريط:

وذلك لأن الوسطية الحقة تثبّت الحق، وتزيد التمسك بالإيمان، وتدعو إلى التدين، بخلاف الغلو الذي ينفّر عن الدين، أو التفريط الذي يذيب التدين، وهذا التوسط هو من خصائص أمة الإسلام فهي أمة وسطية بكل معاني الوسط.

يقول الإمام الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط العدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليفٌ جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال"[1]، فهذه الفِرقة الناجية أهل السنة هم وسط في النِّحِل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل"[2].

وقال أيضًا: "وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[3].

فأهل السنة هم وسط في أبواب كثيرة بين الغُلاة وبين الجُفاة، في كل أبوب الشريعة والاعتقاد، وكما أنهم وسط بين الفرق فهم وسط بين الأمم،

---

(1) الموافقات، الشَّاطِبِيّ، ص ٢٧٩.

(2) منهاج السنة، ابن تَيْمِيَّة، ج: ٥، ص: ١٦٨ والوصية الكبرى، ابن تَيْمِيَّة، ص ١٤.

(3) مجموع الفتاوى، ٣/ ٣٧٥.

فمثلا هم وسط في الاعتقاد بالنبوة والرسالة، فلا هي غلت في نبيها - كما غلت النصارى في نبيهم - ولا هي أساءت إليهم وآذتهم وقتلتهم - كما فعلت يهود - أو سبتهم بأقبح السباب[1]، وبين النصارى الذين أَلَّهوا نبيهم وعبدوه[2].

فمثل هذه المقارنات التي تبين سماحة الوسطية واعتدالها وموافقتها للفِطر السليمة والعقول الصحيحة من أعظم الأمور التي تزيح غشاوة البصائر، وتثبت القلوب المؤمنة بإذن الله.

سادسا: بث اللقاءات العلمية بين العلماء الموثوق بهم وبين الطلاب أو عموم الناس:

فحلقة الوصل بين الناس وبين العلماء هي الحلقة الشماء التي تجعل على صاحب الضلال سدًّا سميكا من الولوج إلى عقول الناس بمفاهيمه الخاطئة، فالعلماء هم حراس الدين، وسدنة الأمة، والملاذ الأمين لكل من عرضت له بعض الشبهات التي يطلقها أعداء الدين والملة.

و"الناس لهم فِي طلب العلم والدين طَريقان مبتدعان وطرِيق شرعي، فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والاستدْلَال بأدلته، والعمل بموجبها؛ فلَا بد من علم بِما جاء به وعمل به، لَا يكفي أحدهما.

وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلِية وَالبراهين اليقينية؛ فإن الرسول بيَّن بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه، والرسل بينوا للناس العقلِيات التي

---

(1) انظرمثلا: الكتاب المقدس، سفر الخروج، ٣٢/ ٦ والملوك الأول ١١/ ٤ وصموئيل الثاني ١١/ ١٤.

(2) انظر: مثلا يوحنا ١/ ١-٤ و٩/ ٣٥.

يحتاجون إِليها، كما ضرب الله فِي القرآن من كلِّ مَثَلٍ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته.

وأما الطريقان المبتدعان:

فأحدهما: طريق أهل الكلَام البدعي والرأي البدعي؛ فإن هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله بِه ورسوله من الأعمال، فيبقى هؤلَاء فِي فساد علم وفساد عمل، وهؤلاء منحرفون إِلى اليهودية الباطلة.

والثاني: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية، وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية"[1].

سابعا: مراقبة وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة واللقاءات الشبابية التي يقوم عليها مجهولو الحال:

وذلك حتى لا يستغل شبابنا ضعافُ النفوس الطامعون في انحراف شبابنا، سواء كانوا من أهل الدين المزيف القائمة أفكارهم على تكفير المجتمعات وضرب الشعوب بالحكام، أم من أهل النظريات العلمانية الذين يريدون انصهار شبابنا في بوتقة الحضارة الغربية بغثها وسمينها.

ولهذا يجب إعادة بعث التأسي بالقدوات الصالحة في نفوس أولئك الشباب، وغرس مفهوم تبجيل أخيار هذه الأمة، حتى لا يتخذوا قدوات هابطة، تدعو إلى الانحلال من القيم والثوابت، سواء أكان ذلك في الإفراط أو التفريط، وتغذيتهم بمثل أثر قول الطحاوي رحمه الله: "وعلماء السلف

(1) منهاج السنة النبوية، ابن تَيْمِيَّة، ٥/ ٤٢٨.

السابقين، ومَن بعدهم من التابعين من أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"[1].

ثامنا: تبيين بطلان وتهافت مزاعم الإلحاد بالأدلة الفطرية والعقلية والمنطقية والفيزيائية العلمية:

وهذا من الأمور المهمة في التخاطب مع من تأثر بالإلحاد أو مَن يريد أن يتترس منه، ويمكن أن نطرح هنا إحدى القضايا الإلحادية كمثال على ذلك، ولتكن قضية الإلحاد الأولى لتتم مناقشتها هنا مناقشة علمية، يتبين من خلالها بطلان أسسها وقواعدها، ألا وهي قضية إنكار وجود الله؛ مع العلم بأن هذه البراهين الدالة على وجوده هي موجهة لمن ابتلي بالشك أو الإنكار في وجوده تعالى، أما من سلمت فطرته من الوقوع في أوحال الشك فليس له حاجة إلى ذلك؛ يقول ابن تيمية رحمه الله: "... فمن حصلت له المعرفة أو الإيمان... بغير النظر لم يجب عليه، ومن لم تحصل له المعرفة ولا الإيمان إلا به وجب عليه"[2].

ثم إن أدلة وجود الله كثيرة متنوعة ليست مقتصرة على دليل واحد - كما يظن البعض - وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

يقول ابن تيمية: "ولما كانت طرق معرفة الله كثير متنوعة صارت كل طائفة من النظار تسلك طريقا إلى إثبات معرفته، ويظن أنه لا طريق إلا تلك،

---

(1) العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص٣٠.

(2) درء تعارض العقل والنقل، ابن تَيْمِيَّة، ٧/ ٤٠٥.

وهذا غلط محض"[1].

ويرى بعض العلماء أن عرض هذه الأدلة لها أثر كبير في دفع الشك لدى الشاك، ولها أثر أيضا بأنها تُورِث زيادة اليقين للمتيقن كما يقول أبو المظفر السَّمْعَانِيّ: "... وعلى أننا لا ننكر النظر قدر ما ورد في الكتاب والسنة لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب"[2].

ويمكن أن نرد عليها بما يلي:

أولا: اعترافات زعماء الإلحاد المطلق والنسبي بوقوعهم في الشك والحيرة:

في الحقيقة إن أول ما يعقب به على مدى صحة تلك النظريات الإلحادية هو القول بأنها محاربة للعقول قبل أن تكون استدلالا بها، وتحريفا للفطر قبل أن يزعم موافقتها لها[3]، بل وتخالف العقل الذي مُيِّزَ به الإنسان عن سائر الحيوانات، وهذا ما اعترف به حتى بعض فلاسفة عصر التنوير، ولهذا فقد جاءت أقوالهم تنضح حيرة وشكًّا فلا هُم وافقوا الفطر فارتاحت ضمائرهم ولا هُم وافقوا العقل فاقتنعت سرائرهم، بل كانوا في جمرة بين نارين ولقمة بين فكين.

---

(1) نفس المرجع، ٣/ ٣٣٣.

(2) الانتصار لأهل الحديث، أبو المظفر السمعاني عن صون المنطق، ص١٧١.

(3) ولهذا اقتنع كبار فلاسفة الإغريق بفكرة الإله والدين، يقول أفلاطون: (ليس لنا إن نعرف الحقائق إلا من الآلهة، أو من أنبياء الآلهة، وعقل الإنسان يحتاج إلى الإنارة الإلهية ليفهم ما يتعلق بالله كما تحتاج العين إلى نور الشمس لترى الموجودات)، ويقول سقراط: (إن كل معرفة صحيحة بالآلهة هي من الآلهة)، ويقول أفلاطون في سقراط ورفاقه: (إنهم التزموا أن يعترفوا بجهالتهم ويسلموا أن لا شيء يُفهم ويدرس تماما).

ومنشأ ذلك أنهم طلبوا الاستدلال على الواضح بدليل معقَّد، وهذا هو الغلط الذي يقع فيه كثير ممن يطلب أن ينير ضوء الشمس بشمعة في يده؛ يقول ابن تيمية: "كثير من العلوم تكون ضرورية فطرية فإذا طلب المستدل أن يستدل عليها خفيت ووقع فيها شك، إما لما في ذلك من تطويل المقدمات، وإما لما في ذلك من خفائها، وإما لما في ذلك من كِلا الأمرَين"[1].

وهاك جملة من أقوالهم التي تدل على ذلك مع النص على كلام الملحد بذكر إلحاده عند اسمه، وهذا لأصحاب الإلحاد المطلق فقط، أما عدا ذلك فلا ينص عليه، وذلك فيما يلي:

- يقول الفيلسوف أوجست كانط: "إن الإيمان بالميتافيزيقيا لا يمكن أن تكون تجريبية، وإنما هي معرفة قبلية"[2].

ويقول أيضا: "سنعود دائما إلى الميتافيزيقيا مثلما نعود إلى عشيقة تخاصَمنا معها"[3]

- ويقول الفيلسوف الملحد شوبنهاور: "تشير المعابد والكنائس والجوامع في جميع الأمصار وكل الأزمنة بعظمتها وبهائها إلى حاجة ميتافيزيقية لدى الإنسان.. حاجة قوية وراسخة"[4]

- ويقول الفيلسوف الملحد فويرباخ: "يقوم الدين على هذا الفارق

---

(1) درء التعارض، ٣/ ٣١٩.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٤٦٢.

(3) نفس المرجع ص ٤٦٢.

(4) نفس المرجع ص ٤٦٢.

الأساسي الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، فالحيوان لا دِين له"[1].

- ويقول الفيلسوف فولتير في إحدى رسائله عن بحثه عن الحقيقة: "... فقد بحثتُ عنها طوال حياتي فلم أستطع العثور عليها، ولم أُبصر إلا وميضًا خفيفًا يخاله المرء أنه هي"[2].

- وقال مرة: "إننا نعوم في الشك، وليس لدينا إلا القليل من الأفكار الواضحة"[3].

- ويقول الفيلسوف روسُّو واصفا حَيرته: "إن ما أريد أن أعرفه هو: كيف ينبغي أن أعيش؟ وما هو المعنى الحقيقي لحياتي"؟[4]

- ويتساءل فولتير: "ما هو الضابط الذي بعد كل شيء يمكن فرضه على الجشع وعلى الجرائم وأعمال العدوان التي اقتُرفت من دون قِصاص سوى فكرة وجود سيد سرمديّ عيناه علينا هو الذي يحكم حتى على أفكارنا الخاصة"[5].

- ولهذا توصل ديكارت بعد كل نظرياته الفلسفية إلى أمرٍ رأى أنه هو المخرج من تلك الحيرة وذلك الشك المسيطر عليه فيقول:

"إني مع شعوري بنقص ذاتي أُحِسُّ في ذات الوقت بوجود ذات واجبة الوجود، أراني مضطرًا للاعتقاد بأنَّ هذا الشعور قد غَرَسَتْهُ في ذاتي تلك الذات

(1) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٢٠٣.
(2) فلسفة الثورة الفرنسية، برنار غوروتويزن، ص ٦٠ و كارل ماركس، سربست نبي، ص ٦٤.
(3) فلسفة الثورة الفرنسية، برنار غوروتويزن، ص ٦٠.
(4) نفس المرجع، ص ١٠١.
(5) نقلا عن الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين ايليربي، ص ١٨٨.

الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال، وهي الله"[1].

- ويقول نيوتن: "إني قد رأيت الله في أعمال الطبيعة ونواميسها التي تبرهن وجود حكمة وقوة لا تختلط بالمادة... لا تشكوا في الخالق.."[2].

- ويقول جون لوك: "إن الذين لا يجوز التساهل معهم هم الذين ينكرون وجود الرب حيث لا يمكن للوعود ولا للعهود والمواثيق والأيمان التي تربط المجتمع الإنساني أن يكون لها أي تأثير كابح على الملحد"[3].

- ويقول جون لوك بعد أن أثبت أن كل ما له وجود لا بد وأن تكون له بداية، نتج عن شيء تقدمه واكتسب وجوده من وجود غيره ثم قال: ".. إذن فالينبوع الأزلي الذي نتجت عنه جميع الكائنات يجب أن يكون هو أصل جميع قواها، فهو إذن قادر على كل شيء"[4].

- وإذا كان الإنسانُ عند أرسطو ومن تبعه حيوانا ناطقا أي مفكر[5]، فهو عند الفيلسوف هيجل حيوان متدين حيث يرى هيجل أن "الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين وإن الحيوانات تفتقر إلى الدين بقدر ما تفتقر إلى القانون والأخلاق"[6].

- ويرى وايتهد أن التدين عنصرٌ أساسيٌّ في تكوين الإنسان والحس الديني، وهو يكمن في أعماق القلب البشري، بل هو يدخل في صميم ماهية

---

(1) انظر: الإخاء والسلم بين الدين والعلم، الأنبا ايسوذورس، ص ٥٩.

(2) نفس المرجع ص ٦٧.

(3) نقلا عن الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين ايليربي، ص ١٨٨.

(4) الإخاء والسلم بين الدين والعلم، الأنبا ايسوذورس ص ٧٢.

(5) انظر: مشاهير الفلاسفة، ديوجين لايرتيوس، ص ١٣٨.

(6) موسوعة العلوم الفلسفية، هيجل، ص ٤٧.

الإنسان، مثله مثل العقل سواء بسواء[1].

- ويقول كانط: "إن الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية"[2]، أو كما يقول فويرباخ عن الدين بأنه الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة[3].

- بل يرى دوركايم[4] أنَّ الدين فطرة كامنة في قلب كل بشري، ولا تحتاج في إثباتها إلى جدل طويل لأنها بدهية.

- ويصف الفيلسوف الألماني لايبنتز قبل عودته إلى الدين نفسه فيقول: "فكرت تفكيرا عميقا في فلسفة المحدثين، وخصصت كثيرا من الوقت للتجارب الفيزيائية والبراهين الهندسية، وقد اقتنعت فترة طويلة بسخافة هذه الكائنات، إلى إن أُرغِمتُ على استرداد هذه الصور الجوهرية وكان قوة قاهرة تضطرُّني إلى ذلك"[5].

- ويقول ديكارت: "إن الانسجام الوظائفي في الكون يرجع الفضل فيه إلى الله".

- ويقول فولتير: "بحثتُ لأمثل هذه الأفكار بذهني فلم أجد سلسلة الاستنتاج تأخذني إلا إلى هذه النتائج؛ لأني غاية ما رأيته أني تحققت أنه يوجد شيء في الوجود أقوى مني ليس إلا الله".

---

(1) انظر: الزمان والأزل، مقال في الفلسفة والدين، ولتر ستيس، ص ٣٧.

(2) الاجتماع الديني، أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٧٥.

(3) انظر: مبادئ علم الاجتماع الديني، روجيه باستيد، ص ٢٣.

(4) وسيأتي الحديث عن نظرية دوركايم.

(5) مقالة في الميتافيزيقيا، لايبنتز، ص ١٣٠.

- ويقول جان جاك روسو: "كلما أمعنتُ النظرَ في الحوادث التي تُحدثها قوى الطبيعة... وتأملتُ كيف تأثير بعضها في بعض... فأنا اعتقد أن إرادة الله تتحرك الوجود وتحيي موت الطبيعة".

- ويقول داروين: "إني لمتيقن أن للكون ربًّا، وأن إثباته والمناداة به من أعظم الفروض، وأنا مؤمن أنَّ ذلك الرب خلق العالم".

وهذا غيض من فيض، مِن عُتاة الإلحاد ومَرَدَتِهِ مِنَ الذين نازعتهم الفِطَرُ فخرج من بين ركام نظرياتهم الإلحادية[1].

- ويقول آرثر أدنجتون: "تفسير الكون بالحركة الآلية أمرٌ لا يسيغه العلم الحديث".

- ويقول كانط: "ينبئني ضميري بوجود إلهٍ للعالم".

- ويقول نيوتن: "النظام الذي يتجلى في الكون يدل على وجود إله له".

- ومع أن لويد مورجان كان يقول بوجود عقل في المادة إلا أنه كان يسأل: "ما الذي يُخرج هذه الأطوار بعضها من البعض الآخر على هذا الترتيب العجيب"؟ وكان يجيب: "إنه تدبير الإله أو توجيهه".

- ويقول سبنسر: "المجهول هو تلك القوة التي لا تخضع لشيء في العقول، لكنها مبدأ كل معقول، وهي المنبع الذي يفيض عنه كل شيء في الوجود".

- وقال دارون: "تفرَّعت الأنواع من جرثومة الحياة التي أنشأها

(1) انظر: الإخاء والسلم بين الدين والعلم، الأنبا ايسوذورس، ص ٨٨- ١١٠.

الخالق"[1].

هذه بعض أقوال رواد الفلسفة إبَّان تلك العصور، فما هو حال رواد الفلسفة في العصر الحاضر؟

- في بحثٍ منشور دليل كامبردج للإلحاد نقل كثيرًا من النقول عن عودة الدين إلى الدوائر الفلسفية الأكاديمية في أمريكا، ونقل عن سميث قوله: "إن الله ليس ميتًا في الأوساط الأكاديمية حيث عاد إلى الحياة في أواخر الستينيات، وهو يعيش الآن وبشكل جيد في مقل الأكاديميات في أقسام الفلسفة، ورد كثير منهم على الإلحاد من ناحيتين الأولى: وهي عدم وجود جدليات مقنعة للإلحاد، والثاني: وجود جدليات مقنعة للدين[2].

- وقال كرسيمو ريسن (رئيس مجمع العلوم في نيويورك): "أسباب الإيمان بالحقيقة الإلهية يعرفها العلماء، وتأبى عليهم عقولهم أن يردّوها إلى المصادفة".

- ويقول عالم الرياضيات الشهير جيمز جينز: "شهادات الرياضيات في الكون تُثبت أنه لم يوجد مصادفةً"[3].

وهذه الاعترافات من زعماء فلاسفة التنوير ومَنْ بعدهم هي بمثابة الختم المبرم والقُفل المحكم على كل من رأى أن العقل البشري هو السيف القاطع والبرهان الساطع في الحكم على المسلَّمات، والبت في المبرمات

(1) الله بين الفلسفة والمسيحية، عوض سمعان، ص ٤.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 69.

(3) الله بين الفلسفة والمسيحية، عوض سمعان، ص ٤.

المحكمات كإحلال العقل محل الإله، أو نفيه بالكلية جَلَّ في عُلاه، وهذا ما فعله رعاع الكنيسة عندما انطلقوا متحررين من جبروت الكنيسة وسلطانها هاربين من فساد عقائدها وطغيانها، فحكموا على الدين حكم الجاهل الغضبان، ونهلوا من الإلحاد منهل الغائر الظمآن، فرأوا أنَّ كل الديانات لا تأتي إلا بشَرٍّ وطغيان وأنها قيد في سبيل حرية وكرامة الإنسان، ولهذا ظهرت كثير من الفلسفات الإلحادية التي تجرَّع - ولا يزال يتجرَّع - العالم بأسره ويلات أفكارها وعقيم مبادئها، وشرورها ومساوئها[1].

وهذه الفلتات من قِبَل الفلاسفة وأصحاب النظريات الإلحادية هي مما تبقى من أثار الفطرة التي انحرفت أو حرفوها هم بأنفسهم، والتدين المنشود لا يمكن أن تستكنّ إليه الأفئدة إلا إذا وافق الفطر وقَبِلَتْهُ العقول، وسلمت له وبه النفوس، ولا يمكن كذلك أن يعرف إلا إذا صدر عن إله حق، ورسول

---

(1) وإن كان لهم ما يسوغ لهم هذا الشطح العظيم والميل عن الدين – من وجهة نظرهم – فلهم ما يمكنهم قوله من فساد الكنيسة ورجالها، وطغيانها وانحلالها، ولكن أيسوغ ذلك لمن انتسب إلى الإسلام وعَلِمَ بسنة خير الأنام؟.

كيف تسوغ تلك التبعية المقيتة لبعض من يسمّون برجالات الفكر والثقافة ثم يتبعوا تلك المناهج العقيمة والفلسفات العميقة، ورددوا القول بتبني ما يكون من العقائد موافقا للعقل فما فهمه وقبله في دائرة الإمكان فهو وحي، ومن أمثلة هذه الكتب: محمد الرسالة والرسول لنظمي لوقا وآفاق فلسفة عربية معاصرة: د/ أبو يعرب المرزوقي، ود/ طيب تيزيني، والنص القرآني: تيزيني ؛ والعلمانية والممانعة الإسلامية : علي العميم، والأسطورة والتراث: القمني؛ وجدل التنزيل: رشيد الخيوني، والإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية لنصر حامد أبو زيد؛ والتفسير الماركسي للإسلام: د. عمارة، والاستبداد والمرجعية في الخطاب الإسلامي، خالد أبو الفضل، وفي الشعر الجاهلي: طه حسين.

لذلك الإله الحق، الذي يكون هو الوسيلة بين ذلك الإله وبين أولئك الخلق متكلما بما يفهمون، مبتعدا عن التعقيدات والقضايا الفلسفية والمقدمات العوجاء، والنتائج الشوهاء، ولهذا يقول الله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم}[1]، وذلك ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم بكلام يناسب حالهم واستعدادهم وقدر عقولهم[2].

ثانيا: استعمال الدليل العقلي في إثبات وجود الله:

أ- برهان النظم أو التصميم الذكي[3]:

لا بد أن يكون لهذا العالم مدبر يضبط أموره، وهذا المدبر هو ما يعلل به نظام العالم، وهو مفتاح يحل به أعظم الألغاز المعقدة.

يقول مكس مولر: "إن النظر في الظواهر الطبيعية قاد الإنسان إلى إدراك خالق وراء هذه الظواهر".

تلك القوة العُلوية هي الله، ومن قبل أن تطلع شمس المدنية والناس يقرون بوجوده وكل جنس وجيل سماه تقريبا باسمٍ خاصٍّ مثل يهوه، جوبتر، السيد المالك، وما لا يحد وما لا يُعرف، والإرادة المطلقة ومسخر العالم

---

(1) سورة إبراهيم آية ٤.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤ / ٤٧٧.

(3) مذهب "الغائية" هو المذهب الذي يفسر الكون ويربط ظواهره بالعناية الإلهية. ينظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد ص٤٢٠، وهناك دليل يسمى أيضا بالغائية وهو من البراهين على وجود الله، حيث يبحث في النظر من غاية وجود الإنسان وخلقه، وأن لكل شيء غاية.

وغيرها، والاعتقاد بالله متأصل في نفوس الناس"[1].

يقول فولتير: "الكون يحيرني، ولا يمكنني أن أتصور أن هذه الساعة موجودة من غير ساعاتي أوجدها"[2].

وإذا كان كثير من الموجودات لا نستدل عليها إلا بآثارها، بل إننا نحكم على شعور بعضنا بمجرد مشاهدة الآثار رغم أننا لا نرى ذلك الشعور بأم أعيننا، فمثلا نحكم بالعشق والغضب والرضى والخوف والخجل على غيرنا بمجرد مشاهدة آثار تلك الصفات، فما بالك بالمحسوسات، خصوصا وأن المحسوسات أوضح دلالة وأجلا بيانا، ولهذا يقول الغزالي: "أكثر الموجودات معلوم الاستدلال عليها بآثارها ولا تحسّ"[3].

وهناك جملة من التساؤلات لا بد أن يتساءلها عقل الملحد، أسئلة كثيرة، تحار فيها عقول الملاحدة، والتي طمست نورها نظريات الإلحاد: مَن صمم هذا الكون؟ ومَن أبدعه؟ ومَن أحسن نظامه؟ وقوَّم عماده؟ مَن أنشا مادته الأولى؟

هل هي المصادفة كما زعم ديمقريطس وهيرقليطس من فلاسفة الإغريق الذين عزوا اجتماع جزيئات العالم من الجواهر الفردة إلى المصادفة؟ أم أوجدتها قوة الطبيعة الخارقة؟

مَنْ أوجد الطبيعة إذن؟ هل وُجِدَت بالصدفة أم أن لها قوة ذاتية فأوجدت نفسها بنفسها؟.. دوامة لا تنتهي، وتساؤلات كثيرة.

---

(1) مبادئ الفلسفة، رابوبرت، ص ١١١-١١٢.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٤٠٠.

(3) معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، ص٦١.

ويمكننا أن نؤيد هذه التساؤلات ببعض النقول لبعض كبار الفلاسفة الأذكياء:

- فيتساءل العالم الفيزيائي وليام بالي: مَن مصمم الغلاف الحيوي؟

ثم يجيب فيقول: "لنفترض أنني وجدت ساعة مُلقاة على الأرض، فإنه ينبغي علي أن استفسر عن كيفية وصول هذه الساعة إلى هذا المكان، فلابد وأن يكون هناك مخترع لهذه الساعة، ولابد من أنه كان موجودًا هناك... كأن يكون صانع مثلا... قد قام بتشكيلها من أجل الغرض الذي وجدناه فعليًّا يجيب على سؤالنا؛ مَن الشخص الذي فهم طبيعة تشكيلها وصمم استخدامها...؟ فكل دليل على الاختراع، وكل مظهر من مظاهر التصميم، وهو الأمر الذي كان موجودا في الساعة، يتواجد في أعمال الطبيعة مع اختلافٍ في ذلك من جانب الطبيعة لكونها أكبر أو أكثر، وذلك بدرجة تتجاوز كل الحسابات"[1].

- ويقول أرنو بنزياس الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء: "يقودنا علم الفلك إلى حَدَثٍ فريدٍ من نوعه، هذا الكون الذي خُلِقَ من العدم، والذي يتمتع بالتوازن الدقيق للغاية واللازم بالضبط لتوفير الظروف المناسبة اللازمة لإقامة الحياة عليه، هذا الكون الذي لديه خطة أساسية يجوز للمرء أن يقول إنها خطة خارقة"[2].

- ويمكننا أن نستدعي التساؤلات التي طرحها جون سلينوكس حينما

---

(١) *God's Undertaker: Has Science Buried God?, pp 78.*

(٢) نفس المرجع، ص ص ٥٨.

يتساءل فيقول: "ما سبب وجود شيء ما بدلاً من لا شيء؟ لماذا علي وجه الخصوص يوجد الكون؟ مِنْ أين يأتي وإلى أين يتجه وفي أي مكان إن وُجِدَ؟ هل هو نفسه الحقيقة المطلقة التي لا يوجد شيء وراءها؟ أو يوجد شيء ما "وراءه"؟

ثم نراه يذكر شيئا من دقائق هذا الكون التي صممت بتصميم دقيق ومبهر فيقول: "... ينقل التلسكوب "هابل" صورًا مذهلة للسماء من مداره المرتفع فوق الغلاف الجوي، وعلي النطاق الصغير الذي لا يمكن تخيله، يكشف مجهر المسح النفقي البيولوجيا الجزيئية المعقدة بشكل لا يصدق..".

ثم يتساءل فيقول: " فهل نحن والكون مع وفرة جماله المجريّ وتعقيده البيولوجي الدقيق مجرد منتجات للقوى غير المنطقية التي تعمل بشكل وبطاقة طائشة بطريقة غير موجهة"[1]!

لا شك أن الجواب بالنفي، وحتى ما تشبث به الملاحدة من وجود التطور الخلاق في الموجودات الحية لا يمكن أن يجزم بصحته اعتقادا جازما، إذ لو ثبت ذلك فلا شك أن التطور الخلاق لن يقف عند الإنسان بل سوف يتعداه، إذ التطور في طرد مستمر لا يهدأ، وهذا من لوازم الإيمان بهذه النظرية، وهذا ما فهمه الفيلسوف فاندا حيث يقول: "ما عسى أن يكون التطور في الأزمنة المقبلة؟ فالإنسان ليس سوى مرحلة انتقالية من مراحل حركة التطور وصعود الفكر"[2].

---

(١) نفس المرجع، ص ص ١.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٤٤٣.

فهل أثبتت الدراسات أن الإنسان قد تطور ليصبح ملاكًا سابحًا في السماء أو طرزانا يهدهد الجبال بقوته؟ لا أظن ذلك.

ولو أثبتنا هذه النظرية جدلا فهل تنفي وجود خالق للبذور الحية الأصلية؟ نعم أثبتت النظرية تطورها، ولكن من أوجد البذرة الأصلية؟ لا بد أن يكون هناك موجد.

ب- الدليل الكوني، أو دليل الحدوث والاختراع:

يقف هذا الدليل أمام أعتى النظريات المادية كنظرية داروين في أصل الأنواع وتحولها أمام الانتخاب الطبيعي، فتقف عاجزة عن تفسير القوة الكامنة وراء هذه التحولات، ولم تجد ملاذا للتفسير إلا التمسك بالصدفة، تلك الصدفة العاجزة التي أرجع إليها كل عجز علمي؛ يقول داروين: "لقد تكلمت في بعض الأحيان كما لو كانت التحولات والانتخاب الطبيعي راجعين إلى محض الصدفة بُعدا كبيرا، غير أنه يكفي على ما يظهر للتعبير عن جهلنا السبب في حدوث كل تحول خاص"[1].

فحامل لواء الإلحاد الحديث - داروين - نراه يرجع فشل نظريته في كشف أسباب بعض الدقائق المسببة لها جعله يهرب إلى الأمام ويقول بالصدفة.

لقد أقر كثير من العلماء والفيزيائيين أن هذا الكون بحدوده الفيزيائية قد نشأ بفعل ذات مدبِّرة، وليس عن طريق المصادفة من بينهم عالم الفيزياء "فريمان ديسون"، فقد كتب قائلا: "بينما ننظر إلى الكون ونحدد الكثير من

(1) أصل الأنواع، داروين، ٨٩.

الأحداث الفيزيائية والفلكية التي عملت معا لصالحنا، يبدو تماما كما لو أن هذا الكون كان يعلم بمجيئنا".

وكانت دهشة آلبرت آينشتاين من هذا الأمر هو ما دفعه إلى التعليق قائلا: "إن أكثر شيء غير مفهوم حول الكون هو أنه غير مبهَم"(١).

فكل ما يبدأ في الوجود له سبب، وقد بدأ الكون في الوجود، وبالتالي فإن الكون يحتوي على سبب(٢).

فنظرية الانفجار العظيم تثبت وجود بداية للكون.

وأما اكتشاف الخصائص الحرارية للكون فيُثبت نهاية للكون، فطبقا للقانون الثاني للديناميكية الحرارية حيث تحدث العمليات في نظام مغلق يميل إلى حالات من القصور الحراري العالي حيث تستخدم طاقتها، ووفقا لما توصل إليه العلماء في القرن التاسع عشر أن تطبيق هذا القانون بأكمله يستلزم حالة من التوازن ويعاني من الموت الحراري(٣).

ج- الدليل الفطري:

يمكننا في هذه الإلماعة السريعة أن نلقي شيئا من البيان والإيضاح على تهافت نظريات أهل الإلحاد عن طريق الدليل الفطري، وهو ما يُعرف في الفلسفة بالمذهب الفطري، وهو الذي يسلّم بوجود مبادئ وأفكار في العقل

---

(1) *God's Undertaker: Has Science Buried God?* pp 59.

(2) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 77.

(3) انظر: نفس المرجع، ص ٧٨.

غير مكتسبة، أي تولد معه[1].

يقول ديكارت: "هناك أفكار يبدو أنها قد وُلِدَتْ معي، وأخرى تبدو وكأنها غريبة عني وآتية من الخارج، وأخرى تبدو من صنعي واختراعي"[2].

يقول المفكر مصطفى محمود الذي مكث على الإلحاد ثلاثين سنة قبل أن يهتدي إلى الإيمان: "... ولو أني أصغيت إلى صوت الفطرة وتركت البداهة تقودني لأعفيتُ نفسي من عَنَاءِ الجَدَلِ ولقادتني الفطرة إلى الله"[3].

إن كل هذه الآراء الإلحادية والنظريات الفلسفية تخالف فطرة الإنسان مخالفة سافرة[4]، فالفطر السليمة جُبلت على الاعتقاد بوجود خالق عظيم موجِد لهذا الكون، تأله إليه القلوب وتقصده، وهذا ما قرره علماء الإسلام؛ يقول ابن تيمية: "أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وأنه أشد في النفوس رسوخا من مبدأ العلم الضروري، كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين، لأن هذه المعارف أسماء قد تُعرض عنها أكثر الفِطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض

---

(1) انظر: نفس المرجع، ص٣٢٩.

(2) نفس المرجع.

(3) مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود ص: ٩.

(4) ولهذا اقتنع كبار فلاسفة الإغريق الوثنيين بفكرة الإله والدين، يقول أفلاطون: (ليس لنا أن نعرف الحقائق إلا من الآلهة، أو من أنبياء الآلهة، وعقل الإنسان يحتاج إلى الإنارة الإلهية ليفهم ما يتعلق بالله كما تحتاج العين إلى نور الشمس لترى الموجودات)، ويقول سقراط: (إن كل معرفة صحيحة بالآلهة هي من الآلهة)، ويقول أفلاطون في سقراط ورفاقه: (إنهم التزموا أن يعترفوا بجهالتهم، ويسلموا أن لا شيء يُفهم ويُدرس تماما). علم اللاهوت النظامي، للقس جيمس أنس، ص ٢٠٣.

عنها فطرة"[1].

يقول ديفيد بيرلنسكي: "بعد مقارنة أكثر من ألفي عينة من الـDNA بنتائج متهافتة كما كان متوقعا استنتج عالم الوراثة الجزيئية الأمريكي دين هامر أن استعداد المرء للإيمان بالله متصل بكيمياء الدماغ من بين جميع الأشياء، ثم يقول: "لِمَ لم يرتبط ببوله"![2]

ولذلك نرى عالم الجينات الأمريكي دين هامر ألّف كتابا بعنوان "الجين الإلهي.. كيف ضُمّن الإيمان في جيناتنا؟" وصدر عام ٢٠٠٥م، حيث أثبت فيه وجود عَلاقة وطيدة بين الجهاز العصبي في الإنسان وبين ظاهرة التدين[3]، وكذلك فعل البروفيسور في علم الأعصاب كفن نيلسون في دراسة للظاهرة الروحانية عند البشر في كتابه: "الدافع لله.. هل تم تسليك الدين في عقولنا؟"[4]

وهذا ما اعترف به حتى بعض فلاسفة عصر التنوير وسلّموا أن وجود غريزة دينية ما هو إلا أمر عالمي، وإنها تنبعث في كل إنسان[5]؛ يقول أ. س. رابوبرت في كتابه "مبادئ الفلسفة": "... والاعتقاد بأن اللهَ متأصل في نفوس

---

(1) مجموع الفتاوى، ٢/ ١٥.

(2) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي، ص: ٣٦.

(3) انظر:

The god cane : how faith is hardwired into yur our genes,

شموع النهار، ص ٣٢.

(4) انظر:

The god cane : how faith is hardwired into yur our genes,

شموع النهار، ص ٣٢.

(5) نفس المرجع، ص: ١٨١.

الناس ينبع حينًا بعد آخر حتى مِن أجدب النفوس وأقحلها"[1].

ولهذا كما تقول "الموسوعة الكاثوليكية": "الاعتقاد الإلحادي يدحض نفسه بنفسه، ولعدم واقعيته لم يحصل على مصداقية إلا من فئة قليلة العدد"[2].

ولذلك فلا غرابة أن يعيش الملحد في حياة يملؤها البؤس حسب تقرير أجراه هادواي وروف سنة ١٩٨٨، وفيجل مان وجورما وفاركالي سنة ١٩٩٢ ووفقًا لبيانات جالوب، حيث خلصت المسوح الممثلة للسكان في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة السبعينيات والثمانينيات إلى أن غير المنتسبين هم الأقل سنًّا ومعظمهم من الذكور، بالإضافة إلى ارتفاع مستواهم التعليمي والدخل، والأكثر تحررًا، ولكن أيضًا هم الأكثر بؤسًا، والأكثر غرابة من حيث المجتمع الأكبر"[3].

وهذه الحجة الفطرية هي - فيما يبدو - قريبة من الحُجة الوجودية التي رأى كثير من الفلاسفة أنها من أدلة وجود الله، أو قريبة منها، فالحجة الوجودية قائمة على تخيل قوة أكمل من كل القوى البشرية، وهذا الخيال لا يستطيع دفعه حتى الملحد[4]، ولهذا أقر به كثير من الملاحدة، لكنهم خالفوا في نتيجته حيث رأوا أن تلك القوة ليست هي الله؛ يقول الفيلسوف مالبرانش: "إن أجمل برهان على وجود الله وأرفعه وأقواه وأوله هي الفكرة التي لدينا

---

(1) مبادئ الفلسفة، رابوبرت، ص١١٢.

(2) نقلا عن وهم الإله ص: ١٩.

(3) انظر:

The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, p 301.

(4) انظر: نفس المرجع ص ٧١.

عن اللامتناهي، إذ من الثابت أن الفكر يدرك اللامتناهي"[1].

د- الدليل الأخلاقي على وجود الله:

لعلنا في البدأ نطرح بعض التساؤلات التي ترمز إلى هدفنا من إيراد هذا الدليل، فهل هناك قيم أخلاقية أصلا؟ وهل يشعر الإنسان بسموّ هذه القيم؟ وما هو مصدرها؟ وهل يمكن أن تُفَسَّرَ في الإطار الماديّ؟ وإذا فُسِّرَت في الإطار المادي فما هو المعيار الذي يُقاس بها سُمُوُّ تلك القيم أو انحلالها؟

في الحقيقة إن القيم الأخلاقية القائمة على التفريق بين الحُسْن والقُبح مدرَكَة في المعاني الإنسانية إدراكًا ضروريًّا، فهي قائمة بذاتها قيامًا موضوعيًّا، تدل على ذات كاملة أودعت تلك القيم الأخلاقية في الأنفس البشرية.

فاستقباح الظلم واستحباب العدل أمر ضروري يجده الإنسان في نفسه، يدل دلالة واضحة على مصدر متعالٍ لهذه المعاني السامية، فالمعاني الأخلاقية تدخل في البحث في الميتافيزيقا، خارجة عن الإطار المادي لهذه القيم[2].

فكل تلك المعاني الذاتية للأنفس البشرية لا بد أن يكون هناك مودع لها، يتصف بالكمال، وجعل منابت الكمال تزرع في النفوس، وهو الله تعالى.

ثم إن مقت مخالفة هذا القانون مرتكز في الفطرة البشرية، وأنه لا بد أن

(1) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٤٠٠.

(2) وقد تبنى هذا الدليل الفيلسوف إيمانويل كانط، يقول كانط في كتابه "تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق": "إن كل إنسان لا بد أن يسلم بأن هناك قانون يُراد أن يكون له قانون أخلاقي، لابد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة" انظر: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، إيمانويل كانط، ص ٢٦.

تكون هناك عقوبة تنتظر مَنْ خالف هذه القوانين من الله تعالى، فالظالم قد يموت ظالما والقاتل يموت قاتلا، والمظلوم مظلوما.

ولذلك لم يظهر على مر التاريخ اختلاط القيم الأخلاقية وانقلابها على عقبها إلا بعد ظهور النظريات الإلحادية القائمة على البراغماتية؛ يقول الفيلسوف جون ريست: "من المعترف به أن هناك أزمة في الجدل الغربي المعاصر حول الأساسيات الأخلاقية"[1].

ولذلك تتفاوت القيم الأخلاقية بين المجتمعات - كما يقول جون لوك - فيما يراه مجتمع على أنه ملكية خاصة له يراه مجتمع آخر سلب وسطو، وما يراه شعب على أنه فسق يراه شعب آخر على أنه صحبة جيدة أو عبادة دينية، بل يمكن أيضا أن يمتدح القتل والانتحار في ظل ظروف معينة وفي بعض البُلدان[2].

هـ - أن العلم التجريبي أثبت بطلان كثير من مسلَّمات الاتجاه المادي:

وهذا من باب ضرب الباطل ببعضه، فقد كانت نواميس القائلين بالماديات تنص على وجوب الإيمان بأن المادة لا تقبل التحول ولا الفناء، وأن القوة لا تتلاشى في علم الطبيعة، وأن المقدمات والمعادلات التي ثبتت بالعقل أو التجربة القديمة متيقنة، وأن جميع الموجودات من الذرة إلى المجرة كلها تخضع لقوانين السببية، وأنها حتمية، وهي نابعة من قوانين الطبيعة، وليست خارجة عن أمر الطبيعة، قد نقض العلم التجريبي الحديث كل ذلك، ولعل هذه الحقبة هي المفصل الحقيقي التي من خلالها بدأ الغرب

---

(1) Real Ethics, John Rist (Cambridge: Cambridg University Press, 2003) p 1.

(2) انظر: جون لوك، جون دن، ص ٨٧.

في التشكيك في كثير من الثوابت التي آمنوا بها، ولم يفرقوا بين النظريات الفلسفية والغيبيات الدينية.

فالصوت والضوء والكهرباء ماديات مكونة من موجات وذرات وإلكترونات تصير إلى إشعاع، وهذا الإشعاع لا يُعرف إلا بالافتراض، ولا يُبصر، فصار في حكم العدم، وهذا يُبطل القول بعدم تلاشي المادة، وهو ما صرح به جورج بوهن في رسالته "تطور المادة".

وهذا المذهب الذي ذهبوا إليه من تغير المادة قد أثبته القرآن الكريم قبل تلك الاكتشافات بمئات القرون: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}[1].

وقد رد الفيلسوف أبو حامد الغزالي على جالينوس في زعمه أزلية الشمس وأنها لا تقبل الانعدام بأنها لو كانت تقبل لظهرت عليها علامات الذبول والأرصاد الدالة على مقدارها لا تشير إلى ذلك، فرد عليه الغزالي من عدة أوجه منها أنه لا يسلِّم له أنها لا تفسد إلا بالذبول إذ الذبول أحد أنواع الفساد وليس كل الفساد، ومنها أنه من أين عرف جالينوس أنها لم يحصل لها الذبول، لو سلَّمنا بذبولها (لأنها لا تعرف مقاديرها إلا بالتقريب والشمس التي يُقال أنها كالأرض مائة وسبعين مرة أو ما يقرب منه لو نقص منها مقدار جبل مثلا لا يتبين بالحس، فلعلها في الذبول...، والحس لا يقدر أن يعرف ذلك لأن تقديره في علم المناظر لا يُعرف إلا بالتقريب)[2].

وهذا الذي ذكره الغزالي بذكائه المتوقد أيقن به العلم الحديث فمن

---

(1) سورة الرحمن، آية: ٢٦.

(2) تهافت الفلاسفة، للغزالي، ص: ١٥.

المسلَّم أن الإشعاع الصادر عن الشمس يُنقص من كتلتها وإن كان القدر الذي ينقصه ضئيلا جدًّا بالنسبة لحجمها (فتحويل ١٪ من كتلة الشمس من الهيدروجين إلى الهيليوم يمدها بطاقة تكفي لإبقائها مضيئة لمدة ٩.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ عام)[1]، وكمية الطاقة التي ترسلها الشمس تنقص بمعدل ٤.٣ بليون كيلو جرام في كل ثانية، (لكن هذا قدر ضئيل جدًّا من كتلة الشمس بحيث إن التغيير هذا لا يكاد يلاحظ)[2].

---

(1) دائرة المعارف البريطانية، نقلا عن الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس ص: ٧٣.

(2) الفيزياء، كير كباتريك ص: ٥٩٦، نقلا عن الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس ص:٧٣.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن أن نوجز أهم النتائج فيما يلي:

- تعتبر النظريات الإلحادية من صميم دراسة مسائل اللاهوت المسيحي، وذلك لتفشي هذه النظريات التي نخرت في جسد الكنيسة.

- انتشرت هذه النظريات الإلحادية بين عموم المجتمعات الإنسانية، فلم تعد قاصرة على المجتمع الغربي فقط، وتعددت دوافع اعتناقها حسب الأفراد تارة، وحسب المجتمعات تارة أخرى.

- يعتبر الإلحاد الغربي الحديث أعظم مرحلة مر بها الإلحاد في تاريخ العالم، إذ تشكل على شكل نظريات تقوم على براهين وأدلة (في نظر أصحابها).

- اختلف الناس حول مفهوم فكرة الإلحاد تبعا لتغير الاعتقادات، إلى أن اتفق في العصر الحديث على اعتبار الإلحاد هو فكرة فلسفية، تتمحور حول فكرة إنكار وجود الله.

- تعتبر النظريات اليونانية الفلسفية هي المخاض الأول الذي تمخضت عنه فكرة الإلحاد الحديث، بعد رجوع كثير من فلاسفة الغرب إلى الأخذ من الفلسفة اليونانية.

- أدى ظهور بعض الشذرات الشكية في العصور الوسطى المسيحية ثم

ظهور مذهب اللا أدرية ثم ظهور الإصلاح البروتستانتي إلى مزيد من تقدم فكرة الإلحاد في أذهان الفلاسفة الغربيين على مدى تاريخ المسيحية.

- ظهر الإلحاد الحديث في شكل نظريات منهجية عقلية أو تجريبية أو وضعية في عصر التنوير نتيجة اختمار تلك الأفكار التي طفت على سطح المسيحية على مر تاريخها، في النظريات الإلحادية.

- ظهر مبتدأ فكرة الإلحاد في الإسلام في جناب صدقية الوحي النبوي، والوحي هو مصدر الكتاب والسنة، وهذا التشكيك نجده غاليًا عند المتكلمين.

- يعد المذهب الباطني - وهو لقب أُطلق على مجموعة من الفِرَق التي ادّعت أن للإسلام ظاهرًا وباطنًا وأنَّ لكل تنزيل تأويلاً، وبالغت في "التأويل" حتى جعلته هو الأصل والقاعدة - من أبرز المنعطفات التاريخية في مسيرة الإلحاد في التاريخ الإسلامي.

- من أبرز الحركات التي ساهمت في نشر هذا الفكر الإلحادي "الحركة الشعوبية"، تلك الحركة التي مجدت كل ما يتعلق بالعَجَم، وأرادت أن تفصل العرب عن العَجَم، بل وعادت العرب معاداة جعلتها تخترع كثيرا من الأفكار في معاداة العرب.

- هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى انتشار النظريات الإلحادية الحديثة في المجتمعات الإسلامية من أبرزها جهل المسلمين بحقيقة دينهم.

- من مظاهر انتشار الإلحاد في المجتمعات الإسلامية المعاصرة الطعن في مصادر المسلمين - الكتاب والسنة - والطعن في شرائع الإسلام.

- من سبل مواجهة النظريات الإلحادية: مطالعة الكتب الإسلامية التي

تبين حقيقة الإسلام، والاطلاع على الإعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم، ومطالعة الكتب الإسلامية التي ترد على النظريات والفلسفات بخصوصها، والبعد عن أصحاب الضلال المشككين في الثوابت الإسلامية، وعدم الركون إليهم والجلوس معهم إلا من قِبَل أهل العلم بقصد إرجاعهم إلى الحق إنْ كَتَبَ الله لهم الهداية، فصحبتهم توجب التأثر بهم ممن لا باع له في العلم ومعرفة.

- إن الأسباب التي أدت إلى نشأة الإلحاد في الغرب ليست متوفرة في الدين الإسلامي.

- من سبل مواجهة النظريات الإلحادية: بث الوسطية الإسلامية المعتدلة الذامة للإفراط والتفريط، وبث اللقاءات العلمية بين العلماء الموثوق بهم وبين الطلاب أو عموم الناس، ومراقبة المنتديات واللقاءات الشبابية التي يقوم عليها مجهولو الحال، وتبيين بطلان وتهافت مزاعم الإلحاد بالأدلة العقلية والمنطقية والفيزيائية العلمية كاستعمال الدليل العقلي والمنطقي في إثبات الخالق لهذا الكون واستعمال الدليل الفطري لهدم نظريات الإلحاد وإبطال القول بأزلية المادة التي يؤمن بها الملاحدة وبيان أن العلم التجريبي أثبت بطلان كثير من مسلمات الاتجاه المادي.

فهرس المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- الاتجاهات الفلسفية، رحيم موسوي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١١م، الطبعة الأولى.
- الاجتماع الديني، أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤م
- أحجار على رقعة الشِّطْرَنْج، وليام جاي كار، ترجمة: مجدي كامل، مطبعة بحر الكتب.
- الإخاء والسلم بين الدين والعلم، أنبا إيسوذورس، كتبه: ألفريد فؤاد، http: //groups. Yahoo.com\ group\christianbook
- أساس التأويل، القاضي النعمان بن حيون التميمي، تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت.
- أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- الأسطورة والتراث، سيد القمني، المركز المصري لبحوث

الحضارة، القاهرة، ١٩٩٩م، الطبعة الثالثة.

- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الدين خان، مراجعة وتقديم: د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الرسالة.
- الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، فريدريك إنجلز، دار الفارابي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية.
- أصل الأنواع، تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- أصول التاريخ الأوربي الحديث، أشرف صالح محمد سيد، دار ناشري، الكويت، ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى.
- أصول التعليم المسيحي، الكتاخيسمس الصغير، مارتن لوثر، ترجمة: المركز اللوثري للخدمات الجينية بالشرق الأوسط، بيروت، لبنان.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- آفاق فلسفة عربية معاصرة، د/ أبو يعرب المرزوقي، ود/ طيب تيزيني، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- أفكار في القمة، خالد محمد خالد، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية، نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ترجمة: نهاد رضا، منتدى مكتبة الإسكندرية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- أنسنة الوحي، د. حسان القاري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٦، العدد الثاني، ٢٠١٠م.
- أنطاكية، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٨م.
- إيماننا الأقدس، أنبا يوأنس أسقف الغربية، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- بحثك عن الله، د. ريتشارد. أ. بنيت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

- بدايات التفلسف الإنساني، الفلسفة ظهرت في الشرق، د/ مهدي فضل الله، دار الطليعة.
- البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٤م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول، ترجمة: جورج كوسي، منشورات بحر المتوسط، ومكتبة عويدات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م.
- تاريخ الدعوة الإسماعيلية، مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م، الطبعة الثانية.
- التاريخ الطبيعي للدين، ديفيد هيوم، نقله إلى العربية: حسام الدين حصور، ٢٠١٤م..

- تاريخ الفكر المسيحي، يسوع المسيح عبر الأجيال، د. القس: حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة.
- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة.
- تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، برتراند رسل، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.
- تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.
- تاريخ الكنيسة، القس: جون لوريمر، ترجمة القس: عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة.
- تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة.
- تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، د. جورج قرم، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، إيمانويل كانط، ترجمة: د. عبد الغفور مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٢م.

- تشكيل العقل الحديث، كربن برينتون، ترجمة: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، خرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه.
- تكوين العقل الحديث، جورج هرمان راندال، ترجمة: د/ جورج طعمة، مراجعة: برهان الدجاني، مقدمة: محمد حسين هيكل، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٥م..
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار القلم، بيروت.
- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- الثورة الفرنسية، حسن جلال، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م، سلسلة المعارف العامة.
- الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين ايليربي، ترجمة د. سهيل زكار، دار قُتَيْبَة، بيروت.
- الجمهورية، أفلاطون، نقله إلى العربية: حنا خباز، دار القلم للطباعة

والنشر، القاهرة.

- جون لوك، مقدمة قصيرة جدا، جون دن، ترجمة: فايزة جرجس حنا، مراجعة، هبة عبد المولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- جون لوك، راوية عبد المنعم، دار المعرفة الجامعية، الإِسْكَنْدَرِيَّة، ١٩٨٧م
- الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا، المعروف بابن سبع، شرح دياكون: ميخائيل إسكندر، مراجعة: أنبا متاؤس، مكتبة المحبة، القاهرة، سلسلة دراسات روحية متعمقة.
- الحضارة الأوربية في عصر الأنوار، بيير شونو.
- حلم العقل، تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة، أنتوني جوتليب، ترجمة: محمد طلبة النصار، مكتبة هنداوي، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.
- حياة يسوع، هيجل، ترجمة: جرجي يعقوب، المكتبة الهيجلية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.
- خرافة الإلحاد، د/ عمرو شريف، مكتبة الشروق الدُّوَلِيَّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٠١٤م.
- خريف الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،

القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

- الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني، ترجمة: الخوري بولس عواد، مطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨١م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
- دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ترجمة: د. محمد بن ساسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- دراسة التاريخ، وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، هيوغ اتكن، ترجمة: محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية.
- دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م.
- الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة، عبد الحليم عويس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م.
- راحة العقل، أحمد حميد الكرماني، تحقيق: د/ مصطفى غالب، دار

الأندلس للطباعة والنشر.

- رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة.
- الرسالة التبوكية، زاد المهاجر إلى ربه، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.
- رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سيبينوزا، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- رقصة الشيطان، برنامج العمل الصهيوني لنصف القرن المقبل، دراسة ١٩٩٤-١٩٩٥م من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- روح الإسلام، سيد أمير علي، ترجمة: أمين محمود الشريف، راجعه: محمد بدران، إشراف الدار الثقافة بوزارة التربية والتعليم، المطبعة النموذجية، القاهرة.
- روسو، روبت ووكلر، ترجمة: فايزة جرجس حنا، مراجعة، هبة عبد المولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- الزمان والأزل، مقال في الفلسفة والدين، ولتر ستيس، ترجمة د. زكريا إبراهيم، مراجعة: د. أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة الأسرة،

القاهرة، ٢٠١٣م.

- سلسلة تراث الإنسانية، مقتطفات من القاموس الفلسفي لفولتير، مجموعة مؤلفين، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الشخصية المحمدية، معروف الرصافي، منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي، تحقيق: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة: مُزيل الخَفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، حاشية، أحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م
- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، السيوطي، تعليق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الطبعة الرهبانية اليسوعية المقتبسة من مقدمة الطبعة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس، ١٩٨٤م.
- عصر العقل، فلاسفة القرن السابع عشر، ستيوارت هامبشر، ترجمة: ناظم الطحان.

- العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة: عادل زُعَيْتَر، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- العقيدة الطحاوية، الطحاوي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة.
- علم اللاهوت النظامي، القس جيمس أنس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
- علم اللاهوت، القمص مينا ميخائيل، مكتبة المحبة القبطية، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقَّم أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات: العلامة عبدالعزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفتنة الكبرى "عثمان "، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية عشر.
- فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٦٩م.
- الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، أبو محمد علي بن

أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- فضائح الباطنية، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.
- فكر كارل ماركس، نقد الدين والفلسفة، جان إيف كالفيز.
- فلاسفة القرن الثامن عشر، ايسايا برلين، ترجمة: فؤاد شعبان، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠م
- الفلسفة الإغريقية، محمد جديدي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر.
- فلسفة الثورة الفرنسية، برنار غوروتويزن، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات البحر المتوسط، بيروت، ومنشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، وزكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة.
- فلسفة الدين والتربية عند كانط، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ. م. بوشنسكي، ترجمة: د. عز الدين قرني، عالم المعرفة.

- الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧مـ.
- الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م
- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران.
- قصة الفلسفة اليونانية، زكي نجيب محمود، وأحمد أمين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ترجمة: د. محمود قاسم، ود. السيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- كارل ماركس، مسألة الدين، سربست نبي، تقديم: نصر حامد أبو زيد، دار كنعان، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- كتاب مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، المؤتمر الثاني، مايو ١٩٦٥م.

- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- لمحات من تاريخ العالم، جواهر لال نهرو، طبعة ١٩٨٣م.
- الله بين الفلسفة والمسيحية، عوض سمعان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف عليه: جون كلوفر، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد، مراجعة د. محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت.
- ما بعد الحداثة. مقدمة قصيرة، كريستوفر باتلر، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، مراجعة: هبة عبد المولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م.
- ما بعد الحداثة، مارجريت روز، ترجمة: أحمد الشامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- مأزِق المسيحية والعلمانية في أوروبا، القس د. جوتفرايد كونزلن، تعليق: د. محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩م.
- مبادئ الفلسفة المادية، أ. س. رابوبرت، ترجمة: د. أحمد أمين، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- مبادئ علم الاجتماع الديني، روجيه باستيد، مكتبة الأنجلو

المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

- مجلة الكلمة،، عدد ١٠٣، نوفمبر، تشرين الثاني، ٢٠١٥م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- مجموعة الشرع الكنسي، أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، حنانيا إلياس كساب، مطبعة النور، بيروت، ١٩٩٨م
- محاضرات في التاريخ الكنسي، أنبا يؤانس، مطابع الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- المختصر في أخبار البشر، الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، صاحب حماة، المطبعة الحسينية، القاهرة.
- مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ورابطة العقلانيين العرب، بيروت.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى، جورج سول، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م.
- مستقبل وهم، سيغموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.
- المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، أ. س. سفنسيسكايا، ترجمة: د. حسن ميخائيل، سوريا، دار علاء الدين، الطبعة الثانية،

٢٠٠٧م.

- مشاهير الفلاسفة من طاليس إلى دريكارت، ديوجين لايرتيوس، ترجمة: عبد الله حسين، العالمية للكتب والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- المشكلة الأخلاقية والفلسفة الدينية، أندريه كريسون، ترجمة: عبدالحليم محمود، وأبو بكر ذكري، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- مشكلة الفلسفة، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة.
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- معالم التحليل النفسي، سيغموند فرويد، إشراف: د/ محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة.
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللُّبْنَانِيّ، بيروت، ١٩٨٢م.
- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، فلسطين.
- المعرفة عند مفكري المسلمين، د. محمد غلاب، الدار المصرية

للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، شرحه: حمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- مقال عن المنهج، رينيه ديكارت، ترجمة: محمود محمد الخضيري، مراجعة: د. محمد مصطفى حلمي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
- مقالة في الميتافيزيقيا، لايبنتز، ترجمة: الطاهر بن قيزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، زغلول النجار، تقديم: أحمد فراج، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.
- منتدى العرب المسافر على الشبكة العنكبوتية.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م
- الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، تقديم د. محمد عثمان نجاتي، ترجمة: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، مراجعة: مصطفى زيوار، تحرير: سمير سرحان ومحمد عناني، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠.
- موسوعة الأديان الحية، ز. س. ريفنز، الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني، كوربيلشي، مشرف كنيسة فارم ستريت.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- موسوعة العلوم الفلسفية، هيجل، ترجمة: د. إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير للطباعة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون،

ترجمة: فؤاد كامل وجلال العشري، عبدالرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م
- نشأة التحررية الأوربية، هارولد لاسكي، ترجمة: عبدالرحمن صدقي، مراجعة: علي أدهم، مكتبة مصر، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة.
- نشأة الدين، النظريات التطورية المؤلهة، علي سالم النشار، دار السلام للطباعة والنشر.
- نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريشنباخ، ترجمة: د. فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.
- النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، فيليب جونز، ترجمة:

محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- نيوتن، مقدمة قصيرة جدًّا، روب أيلف، مؤسسة هنداوي للثقافة، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.
- الهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الوافي بالوفيات، الصَّفَدِيّ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ترجمة: بسام البغدادي، الطبعة الثانية.
- وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي، الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة وتعليق، عبدالله الشهري، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ.

المراجع الإنجليزية:

- A Discourse on the Positive Spirit by A. Comte, Tr. S. Beesley. revers. London 1903 - Dialogues Concerning Natural religion by D. Hume. Ed. N. Kemp Smith O.V.P. Oxford -.1935.History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London, 1947
- A Companion to Ancient Philosophy, Edited by: Mary Louise Gill and pierrepellegrin.
- Alan Bullock, Oliver Stally Brass, The Fontana Dictionary Of modern thought 198, p.488, Encyclopeadia Britannica, 1974, v 14.
- Baron d'Holbach (1769). On religious cruelty. De la cruautéréligieuse. 1769, [n.p.] London; Translated: for marxists.org by Mitchell Abidor, 2005.
- Burgt, p. (2011). Darwin, s Impact on the Relation between Science and Religion. The 2011 Walton Lecture on Science and Religion.
- C. Joachim Classen, "Aristotle's Picture of the Sophists" in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag,1981).
- Gallagher,C. (2011). What can we learn from Freud's critique of religion? A paper presented to the Conference of All Hallows, The proceedings of Mental Health, Practical Theology and Spirituality.
- God's Undertaker: Has Science Buried God? John C.Lennox. (oxford, oxford University press, ٢٠٠٧
- Darwin and Religion.Proceedings of the American Philosophical Society Greene, J., Vol. 103, No. 5 (Oct. 15,1959).

- Hans Gerhard "Kippenberg Religion, / Religionsphilosophie" in Enzyklopidie Philosophie In. dreiBinde nheraus gegeben von Hans Jirg Sandskühler (Hamburg; Felix Meiner Verlag, 2010) Band) 3, s. 2297 - 2306 ترجمه من الألمانية إلى العربية: فتحي المسكيني وهانس صاند كولر، من ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ١٨/ ١٧ ٢٠م.
- Hefelbower, S, G. The Relationof john Locke to English Deism, Chicago ،1918.
- http: //www.cis.org.uk/ireland/walton/documents/Darwin's_Impact_Walton_Lecture_2011_review.pdf
- https://www.marxists.org/reference/archive/holbach/1769/religious-cruelty.htm
- Hume, D, Enquiriies Concerning human Understanding, oxford.
- The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin.
- IAIN Mclean and Alistair Mcmillan, Oxford concise dictionary of Politics, 2003, p. 341 و Soxe Commins and Robert. N. Linscott, the political Philosophers, 1947.
- John Gingell, Adrian, Little, Modern Political thought 2000 Dewey, j, Development of American pragmatism in contemporary American philos. ،vol.II.
- Kant, critique de la raison pure, Aubier, paris,1996.
- M. JUDD, Hurrman, political Thought from plato to the present. Megraw Hill.
- M. A. Riff, Dicitionary of modern political Ideologies, 1987.

- Pulseand Fourier Transform NMR Intraouction Totheary and method, tomas c. Farar and Edwind. Becker, National Instiutes of health Bethesdo, Maryland,1971.
- Raymond Williams, problems in materialism and culture,1980.
- Real Ethics, John Rist (Cambridge: Cambridg University Press, 2003).
- Roger Scrutn, A dictionary of Political thought Pan Reference.
- Marx and religion: A brief study. New York: Orbiss Books. Shagor, H. (2005).
- The Cambridge Companion to Atheism, Michel Martin, Cambridge University Press, 2007, First Edition.
- How many atheists are there?. Social Psychological and Personality Science. Gervais, W. & Najle, M. (2018).
- Average intelligence predicts atheism rates across, 137, nations. Intelligence. Lynn, R.; Harvey, J.; & Nyborg, H. (2009).